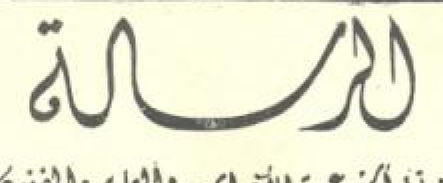


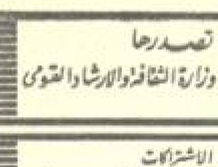
الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
... القاهرة





العدد ١٠٤١ — الخميس ١٠ شعبان ١٣٨٣ هـ — ٢٦ ديسمبر ١٩٦٣ م . السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الصفحة

الإمام الذى فقدناه

بقلم : أحمد حسن الزيات



الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت

فى الهزيع الاول من ليلة يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب ،وهى ذكرى الليلة المباركة التى اشرقت فيها الارض بنور الاسراء ، وانطوت السماء على سر المعراج ، صعدت الى عليين روح طاهرة بارة بعد ان لبثت فى دنيا الناس خمسين‌سنة تشع بالهدى والعلم ، وتنطق بالحكمة والموعظة ، وتهدى بالكتاب‌والسنة ، لايصرفها صارف من هوى ، ولا يشغلها شاغل من شهوة ، حتى لتيت ربها لقاء الصالحين وبين يديها سجل حافل بالجهاد الصابر والعمل المثمر والاثر الخالد والالم الممحص ، ومن خلفها ذكر حسن لا يمحى ، وفراغ واسع لا يمتلىء واسى ممض لا يخف .

ان فى الناس رجلين يربكان الكاتب اذا حاول ان يكتب عنهما : رجلا لا يستطيع ان يجد ما يقوله فيه ، ورجلا لا يستطيع ان يختصر ما يعرفه عنه . ومن هذا النوع صاحب هذه الروح فقيد الاسلام وشيخ الشيوخ الامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت . فقد كان رضي الله عنه من البابة الأولى فى الرجولة ! تجلت فى خلائقه مزايا الانسان الرفيع ، وتمثلت فى اعماله فضائل المسلم المؤمن ، وجعل عمره كله لله وللعلم فانبث فى عمله روح الصوفى الصالح ، وانطبع فى فكره اثر الحكيم المصلح ، فامتاز فى وقت واحد بعقلية فيلسوف جرىء ونفسية طفل برىء فهو فى الحق عاصفة لا تهدأ الا اذا انتصر العدل . وفى الخير نفحة لا تسكن الا اذا انتعش الاحسان . وبهذا الخلق الذى استقام له من الغضب للحق والرضا عن الخير ، جرى فى الاعتقاد على الاخلاص ، وفى القول على الصراحة . وفى العمل على الجراة ، وفى الرأى على الاستقلال ، وفى الحياة على التمرد . وهذه الخلال فى العلماء ، اشبه بالارهاص فى الانبياء ، تبلغ بهم درجة المصلحين فيشعرون بذلك القلق الروحى المقدس الذى لا يفتأ يساورهم فى كل هم يحاولونه وكل عمل يزاولونه وكل مكان يستقرون به، لان مبعثه فيهم صفاء النفس ولطف الحس ودقة الفطنة . فهم وحدهم يدركون النقص فيرومون الكمال،ويلحظون الخطا فيطلبون الصواب ، ويسأمون الركود فيريدون التحول . ولذلك كان الامام شلتوت لا يكره طبعه على حال ، ولا يلبس سمعه على راى ، ولا يملك لسانه عن نقد ، ولا يكف عزمه عن تغيير ، ولا يخزل جهده عن اصلاح .

كانت عدة الجهاد والاجتهاد مجتمعة لديه ، فقد كان واحد جيله فى اكتناه سر العقيدة .. واقتباس نور الشريعة.وكان افهم العلماء لكتاب الله ، فبراهين قضاياه من قواعده ، وبينات دعاواه من شواهده ، ومضامين مؤلفاته من هديه ، وعناوين مقالاته من آيه وكان من اخلص الدعاة الى سبيل الله : ايقظ همه للاسلام فقرب عقائده للافهام بما القى من دروس والف من كتب ونشر من مقالات واذاع من احاديث .

وتعمق جذور الاصول فى الفقه ، وتقصي اطراف الفروع فى التشريع ، فوجد فى اقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومدى عصورهم جوابا شافيا عن كل سؤال يخطر على الذهن ، وحلا حاسما لكل اشكال يعرض على المجتمع ، وحكما عادلا فى كل قضية ترفع الى القضاء . وساعده على ذلك ملكة فقهية تنفذ الى العلة الباعثة والحكمة المستورة ، ومعرفة شاملة بامور العصر تحيط بالظروف الطارئة والاحوال الداعية ، فاستغنى عن الاجتهاد المبتدع باجتهاد من نوع آخر هو الاجتهاد فى اختيار الراى المناسب وترجيح الحكم الموفق ، دون ان يتقيد بمذهب من المذاهب ، ولا بامام من الائمة ، وانما يجرى فى فتاواه على ان شريعة الله خالدة ثابتة عامة لا تتاثر بالمكان ولا تتغير بالزمان ولا تتسم بالخصوص ولا تضيق بالحضارة ولا تبرم بالعلم ولا تنبو على التطور . ومن هنا واكب الزحف الثورى الاشتراكى فى ميدان الاصلاح العام يؤيده بروح الله ويرشده بنور الله ويقطع عنه ببيانه وايمانه السنة الجهل والكيد التى اندلعت من أوكار الرجعية تضل الناس باسم الدين والدين منهم براء !

* * *

كان الامام محمود شلتوت يرى ان الأزهر معقل الاسلام الحصين وقبلة المسلمين الأخرى ومنشأ الدعاة والهداة والقضاة والمعلمين فى مصر وفى غير مصر . فاذا اصلح على الوجه الذى يريد فقد وضع الطباب على اصل العلة ، واختصر الطريق الى بلوغ الغاية .

وكان قد سبقه فى محاولة هذا الاصلاح ثلاثة من ابناء الأزهر النابغين ، ولكنهم منوا جميعا بالعجز عنه لاستبداد القصر يومئذ بسياسة الازهر يجريه على هواه وينزله على حكمه فقضي محمد عبده بحسرة من بغى عباس ، ومضي المراغى بخيبة من هوى فؤاد ، وخرج عبدالمجيد سليم بنزوة من نزق فاروق ! فاتجه بعقله وقلبه الى المشاركة فى هذا الاصلاح ، فاتبع الاول وكان يتحرق اسفا على تعويقه عن

متصده . وأيد الثانى وكان يضيق ذرعا بطول تردده وعاون الثالث وكان يرتمض اسي على كمده . وكان هو ونفر من اخوانه فى الراى يجتمعون فى دار (الرسالة) ، فيتشاكون ما حاق بالازهر من ركود ريحه وانحسار ظله ، ويشفقون على ينبوع الثقافة الاسلامية ان يصد تياره ما ارتكم فى مجراه من الحطام البالى والغثاء الطارىء فكتبوا فى الرسالة فصولا فى نقد التعليم الازهرى كانت مبعث وعى فى نفوس الطلاب ومثار حركة فى قلوب الاساتذة . وانفرد هو بدعوة الاصلاح الازهرى بعد فشل دعاته من قبله ، فرسم الخطط وسن المناهج وكتب الرسائل وحبر المقالات وقدم التقريرات . ثم جعل للاسلام النقى الواضح قولا فى كل مسالة ، ورأيا فى كل معضلة ، وتوجيها فى كل قصد . تارة بلسانه فى الاذاعة ، وتارة بقلمه فى الصحف ، وكان من اثر مناصرته لسياسة المراغى ، ومجاهدته فى سبيل الاصلاح ، ان غضب عليه (القصر) فاوعز الى القائم على شياخة الازهر يومئذ بفصله من عمله ففصله خمس سنين احتمل فيها مكاره العيش ومصاعب الرزق بعزة الكريم وانفة الابى فلم يهن لما اصابه فى سبيل الله ولم يستكن ، حتى انفرجت الازمة وانكشفت الغمة ، وتولى مشيخة الازهر الامام عبد المجيد سليم وهو من اخوانه واعوانه فرغب الى فاروق ان يعينه وكيلا له ، فأبى الطاغية الا اذا تخلى شلتوت عن الخطابة والتدريس فى مسجد الامير محمد على الصغير بقصر المنيل . فلما كلمته فى ذلك بتكليف من الشيخ الاكبر قال لى فى لهجة تنبض بالغضب : لان افصل مرة اخرى من الازهر ، واعيش مدة اخرى انا واولادى فى صراع الفقر ، خير لى من ان اساوم على كرامتى واصالح على هوانى . ان مسجد الامير الذى اعمل فيه لله وانا مدرس ، احب الى من قصر المليك الذى اعمل فيه للشيطان وانا وكيل !

وانصرف الشيخ الى خدمة الاسلام بالتعليم والتاليف ، ومصلحة المسلمين بالتوجيه والتثقيف . فكان حركة لا تسكن وبركة لاتنقطع . ولا نظن عالما من علماء العصر بذل من الفكر والجهد فى اعلاء كلمة الله ما بذل شلتوت .

لذلك اختارته (ثورة الاصلاح العام) شيخا للازهر ليدفع به الى مكانه الخالى من صف القيادة العلية ، ويجمع عليه قلوب المسلمين فى اقطار الارض عامة ثم ايدته بالقانون والنظام والمال والرعاية . وتبوأ الامام كرسي الازهر الجديد وهو يشكر الله على ان مد فى عمره حتى راى نجاح المسعى وتحقيق الامل . وكان متمناه الباقى ان يمضي فى تطوير الجامع العتيق على النهج الذى اسن والمثال الذى تخيل ، ولكن الداء العياء فاجاه فاضعف من طاقته من جهة العزم ، وان لم يضعف قيادته من جهة الراى . فكانت هذه الحال سببا فى ازدياد همه ومضاعفة علته .

* * *

كان ذكر الشيخ برياسة العلم وامامة الدين قد دار على الالسنة وسار فى الآفاق فكان بريده لا ينقطع بالرسائل ، ومكتبه أو بيته لا يخلو من الزوار ، يفدون اليه من الشرق والغرب اقتباسا من علمه والتماسا لبركته ، سواء فى ذلك المسلمون والمسيحيون والرؤساء والملوك والامراء والعلماء والقادة ، حتى أصبح مقره من المزارات المعدودة التى يحرص على زيارتها كل قادم الى القاهرة من رجالات العالم . وتلك عالمية لشيخ الازهر لم تتح لأحد من قبله .

ومما ساعده على بلوغ هذه المكانة دعوته الى التقريب بين المذاهب والطوائف ، وعمله للسلام بين الاديان والامم ، واتساع علمه لتطبيق الشريعة على مقتضيات الاحوال والدواعى ، وانطباع خلقه على اخلاق الصالحين فى السلوك والسمت ، وتأثير حديثه الخصب فى مجالسيه بالايمان والصدق .

كان محدثا فخم الصوت عصبى اللهجة واسع الرواية يمتزج حديثه باجزاء النفس فلا يملك السامع الا ان يتشربه بسمعه وقلبه .

وكان خطيبا جهير المنطق حافل الخاطر يضع لسانه من فنون القول حيث شاء فلا يتلجلج ولا يتوقف فكان مسجد قصر المنيل يغص بصفوة المثقفين يوم الجمعة ليسمعوا خطبته ويحضروا درسه ، كما كان يغص الرواق العباسي بعلية المفكرين ليشهدوا درس الامام محمد عبده .

وكان مجادلا غزير البحر قوى الحجة بصيرا بمواضع الحق قديرا على استنباط الدليل فلا يسع المجادل الا ان يسلم بحجته ويصير الى رأيه : حاجه فى الله عالم طبيعى من أمة (السويد) كان يمج الالحاد من مسامه ويفرزه فى كلامه .. وكان قبل لقائه الشيخ قد تجدى فلاسفة اللاهوت ان يحملوه على

حول تجديد الإسلام

للأستاذ محمد الغزالى

من قصيدة للاستاذ العقاد فى مصيف رأس البر حيث يلتقى نهر النيل بالبحر الابيض ٠

هنا النيل ساح طال فى الدهر سيره
وطالت مرامى نبعه فسلاها ٠ ٠ ٠ !

استوقفنى هذا البيت الرقيق الذى يصف النهر وقد وهن تياره ٠ وسكن عبابه ٠ والقى بامواجه المنكسرة فى احضان البحر الكبير ٠ أو وهو يصف شعور السكينة فى افئدة المصطافين واستراحتهم من لغوب العيش ولو الى حين ٠

لكن تداعى المعانى واشتغال النفس بقضايا اخرى ثقلاتى ثقلة بعيدة الأمد !

فقد ذكرنى هذا البيت ٠ ولست أدرى كيف ؟ ذكرنى بحاضر الاسلام وأحوال الالوف المؤلفة الداخلة فيه المنتمية اليه وهى ــ مع تعلقها بهذا الدين ــ كأنما نسيت رسالته وجهلت مكانته أو ان هذا الدين من خلال المعتنقين له كأنما سلا منابعه عبر التاريخ الطويل وانقطع عن أصوله الاولى ٠

ولنتجاوز عالم الشعر الى عالم الواقع ٠ ان الاسلام الذى طلع على العالم حياة تطارد الموت وضياء يكتسح الظلمة ويقينا يبدد الوهم ٠ ان هذا الدين عراه من اهله غبن فاحش عطل وظيفته وشاب حقيقته وعرضه للتهم والظنون ٠

وما القول فى أمة يصف الله رسالتها بقوله : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد٠الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض » ويصف نبيها بقوله : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ٠٠

فاذا هى تهبط من مكانة القيادة وخصائصها ٠ وتعجز عن مركز الصدارة وتكاليفه ٠ ولا تزال تتهاوى وتتخاذل حتى تصبح فى مؤخرة القافلة الانسانية ٠ تتلقى الاوامر وترتقب العيون والامة الاسلامية التى نعنيها بهذا الوصف مجموعة الشعوب التى تبلغ ٥٠٠ مليون من البشر ينتشرون فى أقطار العالم ٠ ويعرفون فى أرجاء الارض بأنهم أتباع هذا الدين ٠

***

وقد ألف المسلمون خلال مراحل تاريخهم أن يستقبلوا نهضات عامة أو محلية ٠ تقيم ما اعوج من امورهم ٠ وترفعهم الى مستوى رسالتهم الاولى

****

بقية الامام الذى فقدناه

الايمان بالله فما استطاعوا . فلما زار القاهرة أراد ان يجرب الحاده فى شيخ الاسلام فظل يحاوره ويداوره ثلاث ساعات كما روى الشيخ عبد الحكيم سرور مدير مكتب الامام يومئذ حتى غمره من الشيخ اشعاع الايمان واقناع المنطق فرجع الى الله صاغر العقل ابكم الحجة ، وقام فقبل يد الشيخ وقال له : بقولك اشتفيت وبفضلك اهتديت . واصبح منذ ذلك اليوم من أتباعه .

***

صحبت الفقيد الكريم ثلاثين سنة تمكنت فيها الألفة بينه وبينى . عرفته فى مجلة الرسالة وزاملته فى مجمع اللغة ، وعاونته فى مجلة الازهر ، وبلوته فى حالات اخرى مختلفة فلم اعرف فيه الا العقل النير بالعلم والقلب العامر بالتقوى ، والنفس الراضية بقضاء الله فيما تحب وتكره .

ابتلاه الله بالفالج وهو فى كمال البنية والعقل فلم يغلبه على الصبر يأس ، ولم يقعده عن العمل بأس . وانما ظل على ديدنه يدبر شئون الازهر ، ويقضي حقوق العلم ، ويغذى نهضة العرب بزاد التقوى كلما حزبهم امر او غشيتهم فتنة .

ادركته يوما مسة من ضعف الانسان فقال لى فى لهجة تنم على القنوط والضجر : « لقد طال الابتلاء يازيات ! » فقلت له : هون عليك ! انك مادمت تؤدى رسالتك بالعقل الراجح واللسان المبين فلا يهمنا بعد ذلك الا تلعب الكرة ! فضحك واسترفه وحمد الله .

ولكن المنون كانت تتربص بالمريض القلق ساعة الأجل . فلما جاء اطبقت فمه على الضحكة الاخيرة ، وكفنت جسده بالراحة المقيمة ، واسلمت روحه ليلة المعراج الى رضوان الله فى جنة النعيم .. !

احمد حسن الزيات

وتمنحهم قوة يردون بها الخصوم ويحمون بها التراث ·

ونريد أن نشرح بعض المواضع التى يمسها هذا التجديد ، ومعناه ، وحدوده ·

ان تجديد الاسلام ليس أكثر من تجلية حقائقه الاصيلة · وتجريد التراث السماوى من الشوائب العارضة · وتمكين الاحرار العقلاء من اعتناقه عن اعجاب ورغبة ··

ويقتضى ذلك عدة أمور :

١ ـ محاربة البدع والخرافات التى انضافت اليه وحسبت دينا · وهى ليست من الدين فى شىء ان هذه الزوائد الضارة هى سر انصراف كثير من العقلاء عن الدين نفسه ·

ولا يجوز احسان الظن بها مهما بدت حسنة · ولا باصحابها مهما بدوا أتقياء ·

فان البدعة المصنوعة بين الناس لتكون دينا صادرا عن رب الناس · ضرب من التزوير المريب

انها كالحديث الموضوع · أو الوحى المفترى · تروى للناس أن الله قال كذا ، وهو لم يقل · أو ان رسوله حدث بكذا · وهو لم يحدث ···

وتسيير آراء الناس فى الارض على أنها توجيهات نزلت من السماء كذب مضاعف الخطر واظنها تدخل فى نطاق هذه الآية « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا او قال أوحى الى ، ولم يوح اليه شىء ، ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ···»

وخير ما تنكشف به هذه المحدثات المجلوبة هو تقرير الاصول الدينية من ينابيعها اليقينية ·

ومن نعمة الله على المسلمين أن كتابهم محفوظ · وان سنة نبيهم نقدها صيارفة الشريعة · وخبراء النقول نقدا ميز الصحيح والضعيف ، والمقطوع به والمظنون · ومنهجهم العلمى فى هذا المجال يستحق الاحترام كله ···

وعندما تتضح هذه الاصول من كتاب الله وسنة رسوله تتطاير المحدثات الذميمة من تلقاء نفسها وينكشف زيفها · ويسقط التعلق بها ، فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال » ؟ ان القرآن الكريم عاب على الامم الضالة أنها تختلق من عندها أمورا · ثم تقدسها زاعمة انها من عند الله وهذا لا يليق « ان هى الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى »

من اجل ذلك كان أول ما يصنع المجددون أن يرفضوا كل البدع التى استحدثتها الجماهير وعكفت عليها · وأن يقصروا نشاطهم على نشر الحق وحده وامانة ما عداه ·

٢ ـ أخذ الدين كله دون تفريط فى نص من نصوصه أو قاعدة من قواعده ·

فان العدوان على الدين بالانتقاص من معالمه كالعدوان على الدين بالافتراء والتزيد كلاهما بعد عن الحق وضلال عن الغاية ·

وليس فى المصحف سورة تؤثر وأخرى تهدر · أو آية نرضى حكمها وأخرى نسخطه · ان الوحى كله نظام الهى متكامل يتسم بالقداسة والعصمة فى جملته وتفصيله فلا مكان لاطراح جانب منه واصطحاب جانب آخر للاهتداء على درب الحياة والتغلب على وعورة الطريق ·

عندما يركب الطبيب دواء من عدة عناصر بمقادير معينة فان هذا الدواء يمسى عديم الجدوى اذا ذهبت منه بعض العناصر أو اضطربت فيه نسب المقادير ·

والآلة التى تتكون من مجموعة قطع يقف دولابها ويتعطل انتاجها عندما تضيع أجزاء منها · ولا يغنى وجود الباقى وان كان مهما وعظيم القيمة ·

نعم · يمكن لاى كيان أن يبقى وأن يؤدى ثماره مع نقصان أطراف منه أو أجزاء كمالية ·· ونحن نعرف أن فى الدين فرائض ونوافل وأركانا وهيئات واساس الوجود الصحيح لاى شىء أن يكون سوى الجوهر والمظهر بعيدا عن العاهات والآفات فاذا تطرق العيب عن سهو أو عجز كان ميسور التلافى ، أما التواطؤ على قبول النقص واشاعته فهو ذريعة الى اهمال الاصل نفسه والاتيان على قواعده ·

ومع ذلك فان النقص المحظور هو فى الحقائق الرئيسية · أما الهفوات العابرة والقصور السطحى فمجال للعفو : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » والامم عندما يلتاث ضميرها ويجمح هواها قد تهجر بعض أوامر الله وتقع فى محارمه سفاهة وتعمدا · وهذا بلا ريب طريق الكفر ·

حكى الله ذلك عن بنى اسرائيل ناعيا عليهم تلك التفرقة التى تجعلهم ينفذون جزءا من ميثاق الله ويهملون جزءا آخرا « واذ أخذنا ميثاقكم

لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون • ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ، وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب» •

والواقع أن الفضيلة لا تتجزأ • فالصدق يكون فى جميع الامور • ومع جميع الناس ، وكذلك العدالة والامانة ولا يعد امرؤ ما فاضلا اذاكان أمينا فى بعض الاحوال وخائنا فى البعض الآخر ••

وكذلك لا يعد مؤمنا اذا قبل بعض الفروض وجحد بعضها الآخر ، أو قرر اعمال جانب من الدين واهمال الجانب الآخر !!

ان ذلك فى منزلة الكفر بالدين كله •

***

وقد بلى المسلمون بعد انهيار شخصيتهم الاجتماعية والسياسية فى القرن الماضى بأناس يختلونهم عن تعاليم دينهم بحذر ودهاء •

فتراهم يتظاهرون باحترام النبوة •

ولا بأس أن يصفوا الاسلام بأنه دين الفطرة والتقدم !

حتى اذا ووجهوا بأحكامه فى الحلال والحرام ومطالبه فى الصلاة والصيام انكمشوا وتقهقروا • انهم يأخذون من الدين ما يحبون ويدعون ما لا يعجبهم وهواهم الخفى مع مبادىء أخرى مستوردة من الشرق أو الغرب هى التى يعجبون بها ويوفون لها • ويقبلون من الاسلام ما يوافقها وينبذون ما يناقضها •

والى هذا الاسلوب فى هدم الاسلام والى ذلك الفريق من الهدامين أشار شيخ الاسلام الاسبق محمد الخضر حسين رحمه الله وأحسن جزاءه حين قال : « ترى أحدهم يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشد ما يؤذيه عدوه الكاشح ويضع على هذا الايذاء نقابا يخفيه كتسميته النبى ومجاراته المؤمنين فى الصلاة والسلام عليه ، ولا يتباطأ قلم الكاتب من هؤلاء أن يصف الدين بالسماحة والحكمة !!

الى أن يحدث عن شىء من أصوله أو أحكامه المفصلة فتراه ساعتئذ ينكرها متغافلا عن أنها من الدين ، أو متأولا لنصوص لا تقبل التأويل !

وأصحاب هذه الطريقة يعدون الذين يحاربون الاسلام جهرة من البله لا يعرفون كيف يهدمون !

ومعتنقو المذاهب الاجنبية يريدون أن يفرضوا أهواءهم على الاسلام وأن يوجهوا تعاليمه وفق هذه المذاهب مع بتر ما يزيد عليها من نصوص أو تجاهل وجوده •

واجتهادهم فى المواءمة بين الاسلام والصالح العام كما يتخيلونه يغاير الاجتهاد المشروع الذى عرفه أئمة الاسلام فى عصوره الطويلة • اذ أن هؤلاء المحدثين المفتونين بالمبادىء المستوردة من الغرب والشرق يريدون أن يفرضوا نزعاتهم الجديدة على الاسلام وأن يقوموا بتأويل ما يتعارض معها •

« فالاجتهاد الصحيح لا يضع أمام عينيه رأيا أو نظاما ثم يلوى رقاب النصوص الاسلامية حتى يسوقها اليه •

ولكنه يستوحى النصوص الاسلامية حكمها فى هذه الآراء والنظم •

فأحدهما كما ترى يسيطر على النصوص ، بينما يخضع الثانى للنصوص •

أحدهما يبرر بالنصوص الاسلامية عوج الحياة•

والآخر يقوم بنصوص الشريعة عوج الحياة •

أحدهما يوجه اهتماما خاصا الى بعض النصوص ويهمل بعضها الآخر أو يغض منه ويجعله فى مرتبة غير أساسية والآخر يؤمن بالكتاب كله فيسوى بين النصوص فى الاهمية •

أحدهما يحكم آراء دخيلة فى الدين فيفسره فى ضوء ما يذهب اليه مفكرو الغرب وفلاسفته •

والآخر يحكم الدين فى كل فلسفة دخيلة أو مذهب طارىء فيقبل ما يسيغه ويرفض ما لا يرضاه

أحدهما قد يضيف الى الدين ما ليس منه وقد يخرج منه بعض أجزائه بتحليل بعض الحرام وتحريم بعض الحلال والثانى يعرف ان الدين قد كمل وتم منذ نزل قول الله تبارك وتعالى :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » •

والواقع أن استخدام نصوص الشريعة الاسلامية فى تبرير انماط الغرب الفكرية والاجتماعية هو شر من تقليد هذه الانماط تقليدا أعمى •

لان الناس يمكن أن يعيشوا على أمل التخلص من الدخيل اذا قامت فيهم حركة أصيلة للاحياء . اما فى الحالة الاولى - وهى حالة اندماج وتفاعل - فان ادراك الحدود بين الاصيل والدخيل تدق وتخفى حتى لتكاد تستحيل ، لان الناتج من التفاعل سيكون شيئا جديدا معقد التركيب تختلف خصائصه وصفاته عن كل من العنصرين المكونين له .

ولان الناس يدركون فى حالة التقليد أن الذى يفعلونه شيء آخر غير الاسلام .

اما فى الحالة الاولى - فسوف يرسخ فى اذهانهم ان ذلك هو التفسير الحق للاسلام الذى يلائم ظروف الزمان ، وسوف يرفضون كل محاولة لردهم الى الحق لانهم يتوهمون انها دعوة رجعية جامدة » .

وخير ما نتمسك به لاحباط تلك الدسائس الثقافية توكيد الحقيقة التى شرحناها آنفا . ان الاسلام كل لا يتجزأ . ونسيج عريض من التعاليم المتشابكة لا يمكن قصه ولا تمزيقه وأن الأخذ بهذه التعاليم كلها فى العقائد والعبادات والاخلاق والمعاملات لب الايمان وشرط بقائه . وأنه لا يؤذن لاحد ابدا باعتناق ما يهوى واجتناب ما يكره ...

وثم وحدة اخرى تساير وحدة النصوص ، وتعنى بها وحدة الروح السارى والقسمات المميزة للصورة كلها ... فان انجلترا لا تعتبر قد اعتنقت الاسلام مثلا لو انها ادخلت فى قانونها شريعة قطع السارق .

ان الاسلام روح وجسد ، ايمان ونظام . عقيدة باطنة تشبه الوقود الذى يحرك الآلات ، ثم مجموعة الوصايا والاوامر والنواهى والحدود والشعائر التى تسير الحياة الى وجهة معينة ووفق اسلوب خاص

هذا الكيان كله هو الاسلام . فاستعارة أجزاء منه ، لا تجعل المستعير مسلما .

والامة الداخلة فيه يجب أن تستبطن الروح الدافع وأن تستعلن بعد فى كل ما حفل به هذا الاسلام من شرائع وشعائر ... تصطبغ بصبغته وتستظل برايته وتحتكم الى شرعته وتربط كرامتها المادية والمعنوية بمدى الوفاء له والدفاع عنه .

وهذا المسلك لا يتحمل بداهة تجزئة الوحى . واحياء بعضه بالعمل واماتة بعضه بالاغضاء أو الجحود .

محمد الغزالى

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

● لك يا سيدتى	محمد فريد أبو حديد
● الحركة العربية الواحدة السبيل الوحيد لحماية المكاسب الثورية	خيرى حماد
● الاشتراكية واصول الحرية	د. راشد البراوى
● كوكتو الشاعر (٢)	د. عبد الرحمن بدوى
● حذار من تطبيق قواعد النقد الغربى	د. محمد النويهى
● النقد الفطرى	د. لطفى قام
● الدبوس (قصة)	عبد المقصود حبيب
● ابو بكر خيرت	محمود النحاس
● مسرح العرائس فى رومانيا	مختار السويفى
● التقويم العربى (١)	عبد الحميد لطفى

وقفة

للدكتور محمد احمد خلف الله

وقفة مع الاخ الدكتور محيي الدين صابر في كتابه القيم ـ التغير الحضاري وتنمية المجتمع .

والدكتور محيي الدين صابر سوداني الموطن ، والمولد والنشأة، عربي الأرومة، والعقيدة، والثقافة. وله بصر حاد نافذ بالمسائل الاجتماعية . وله قدرة تامة على التعبير عما يريد في عبارة رصينة واسلوب اخاذ .

ووقفتنا مع الاخ الدكتور محيي الدين صابر لن تطول فنحن انما نقف معه عند مسألتين اثنتين يفسران لنا واقعا اجتماعيا نعيشه في هذه الايام . وابادر فاقول اني لن اختلف معه في الرأى ، واني انما قصدت أن أثبت في ذهن قارىء المجلة ماقد يعجز عن الوقوف عليه من الكتاب .

والمسألة الاولى سهلة يسيرة تدور حول مهمة الدولة في هذه الايام ذلك لان تطور وظائف الدولة فيما يتعلق بحقوق المواطنين وواجباتهم ، والذى جاء نتيجة تقدم الوعى العالمى في تقدير قيمة الانسان وحق الحياة ، قد غير مهمة الدولة . فلم تعد تلك المهمة مجردسيادة سياسية وانما غدت تنمية للمجتمع في شتى الميادين ، فالدولة الحديثة تنهض بشئون التنظيم ، وتوفر الحاجات العامة وتضمنها في النطاق الذى يراه المجتمع ضروريا، وتقوم بالخدمات الاساسية في ميادين التعليم والصحة والمواصلات وما اشبه ، وتقوم على تنمية واستغلال الموارد الانتاجية .

هذه المهمة للدولة الحديثة تختلف من دولة لدولة في وسائل تحقيقها ، وفي الدرجة التى تصل اليها من حيث التحقيق ، وذلك يرجع الى تقدم الدولة وتأخرها ، ويرجع الى المناخ الفكرى والاجتماعى الذى يعيش فيه المواطنون . ومن هنا كانت وسائل كل دولة في تحقيق أهدافها مرتبطة بفلسفتها الاجتماعية وبقدراتها وامكانياتها . ومن هنا ايضا ذهبت بعض الدول في تحقيق أهدافها الى وسائل تعتبر في اقصى اليسار بينما وقفت اخرى حيث هى أو تحركت قليلا بحيث يمكن اعتبارها واقفة في اقصى اليمين .

هذه هى المسألة الأولى وهى قضية فكرية عامة تصور خطوطا رئيسية كبرى صالحة للتطبيق ، اما المسألة الثانية فهى مسألة تطبيقية خالصة تتعلق بالمجتمع الآسيوى الافريقى في مجالات التنمية الاجتماعية .

يقول لنا الدكتور محيي الدين صابر ان دول هذا المجتمع تتحرك في نطاق من أهداف معينة ، وتتحرك بوسائل معينة ، وتخضع في كل ذلك لضرورات حيوية .. ولحقائق اقتصادية وسياسية واجتماعية.

فمن حيث الهدف تتجه هذه الدول اتجاها واضحا نحو عدالة اجتماعية ، ونحو مزيد من الخدمات والضمانات ، ونحو الابقاء على القطاع الخاص والملكية الفردية ، الابقاء مع التنظيم الذى يعطى مفهوما وظيفيا في التطور الاجتماعى والاقتصادى بحيث لاتصبح وسيلة من وسائل الطغيان ، فلا تتسلط على الحكم ولا تتجه الى خلق طبقات متبطلة تعيش على عرق الآخرين ، ومن هنا تكون سببا من أسباب التوتر الاجتماعى ، والفساد الاقتصادى والسياسى معا .

ومن حيث الوسيلة ، هناك تدخل واشراف وتنظيم للنشاط الاقتصادى ، وهناك اسهام من الدولة في عمليات الانتاج ، اما منفردة واما متعاونة مع الآخرين وهناك تخطيط وسياسة قومية عامة لتوجيه الاقتصاد في خدمة الاهداف المرسومة .

أما من حيث الضرورات الحيوية ، والحقائق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تخضع لها هذه الدول وتنبثق عنها الوسائل فنلخصها فيما يلى :

أولا ـ ان الاقتصاد الحر الذى يعمل بعيدا عن تدخل الدولة أو بالتدخل الهين اللين ، لم يعد له وجود في العالم المعاصر حتى في أعرق الدول الرأسمالية .

ان التدخل الاقتصادى في مختلف الاشكال والصور قد أصبح جزءا من الحياة الاقتصادية القومية في كل المجتمعات المسئولة ، ومن صور هذا التدخل هذه الضرائب العديدة المتنوعة التى تفرضها جميع الدول بدون استثناء .

ثانيا ـ ان هذه الدول عاشت دهرا ، وقد فقدت حريتها السياسية ، وتسلطت عليها قوى أجنبية ، فعاشت على الأمل في التحرر من تلك القوى باعتبار أن هذا التحرر هو الطريق الى السعادة ، والى الرفاهية الاجتماعية .

ولقد ظل الاستقلال السياسى مرادفا لهذه المعانى حتى كان الجلاء والتحرر من القوى الاجنبية . وعند ذلك كان لابد من أن تواجه الحكومات فى الدولة القومية صعوبات ضخمة ناتجة عن ترجمة معنى الاستقلال الى معنى رخاء ، كان عليها أن تواجه المطالبة بالخدمات التعليمية والتثقيفية والصحية والعمرانية مما لاطاقة لها به ، ومما تضيق به امكانياتها ، ولم يصبح أمامها الا منفذا واحدا هو أن تتدخل لخلق الاوضاع الجديدة التى تتحقق بها الامانى الوطنية والقومية .

من هنا كان التدخل ، ومن هنا أصبح دور الدولة فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية دورا هاما وضروريا .

ثالثا ـ التركة الاقتصادية والاجتماعية الباهظة التى ورثتها الحكومات القومية عن الحكومة الاجنبية . ومن أمثلة ذلك نوع الاقتصاد ، فمعظم هذه الدول ظلت تعمل فى الانتاج الاول كالزراعة . ليس هذا فحسب ، بل كان هناك شبه تخصص فى هذا المجال اقتضته الظروف الصناعية للاقتصاد الاجنبى المتسلط . فبعض هذه الدول تتخصص فى انتاج محصول أساسى واحد كالقطن كما هو الحال فى بعض البلدان العربية .

هذه السلع تعتمد على الاسواق الخارجية التى لاتستطيع الدول المنتجة أن تتحكم فيها ولذا كان يتعرض اقتصادها لشتى الوان التقلبات . ومن هنا كان على الحكومات القومية واجبا يتحقق فى تنويع الانتاج ، وفى الاتجاه الى التصنيع .

هذا الواجب لم يقف عند هذا الحد وانما يمتد الى ان التصنيع لا يقصد كبديل وانما لانه مورد من الموارد الانتاجية الهامة .

رابعا ـ أن قيام الصناعات يفرض على الدولة القومية التدخل لحماية الصناعة ، وتمويلها ، وتسويقها ، وتنظيم قطاعاتها المختلفة ، وترتيب الأولويات فيما بينها ، والنظر فى مقوماتها وامكانيات تطورها .

خامسا ـ قلة رأس المال الوطنى وندرته ، وذلك لاسباب اقتصادية وأخرى اجتماعية .

ان عملية الادخار مثلا عملية حضارية ترتبط بعدة قيم اجتماعية ودينية ، ولا بد من احداث تغييرات فى المجتمع نفسه لخلق الاتجاهات الايجابية نحو الادخار وتشجيع ذلك بمختلف الاجراءات كالقروض الداخلية وغيرها .

ثم ان الاستفادة من المؤسسات العالمية والدولية سواء فى صورة مساعدات مالية أو فنية لاتتيسر الا عن طريق الحكومات القومية نفسها .

سادسا ـ دور الحكومات القومية فى تحويل المجتمع السياسى الى مجتمع اجتماعى ، بمعنى صهر المجتمعات المحلية وصياغتها صياغة قومية ، وذلك بالعمل على تماسكها ، وتقويتها وربطها بعضها ببعض حتى تنمو كلها فى الجسم السياسى نموا متوازنا ، يسلم معه المجتمع من الهزات .

هذه العملية أول مايواجه الحكومات القومية وهذا يقتضى أن تعمل الدولة على النطاق القومى والمحلى معا وأن تترابط المشروعات وتتكامل بحيث يكون هناك احساس دائم وحقيقى بالوحدة السياسية فى المجال السياسى العاطفى ، وفى مجال الاتصال الفكرى ، وفى المجالات الاقتصادية والاجتماعية .

سابعا ـ طبيعة الفترة التى تمر بها هذه المجتمعات انها فترة انتقال ، ولا يمكن أن تمر بها المجتمعات القومية الا على أساس من السياسة المدروسة المخططة حتى يتم الانتقال ويتحقق فى صورة واضحة ، وحتى لايترك المجتمع نهبا للتيارات المختلفة فى فترة تهتز فيها القيم القديمة .

ان الحكومات التى تحس بمسئوليتها فى صيانة القيم الجوهرية فى المجتمع ـ القيم التى تمسك بنيانه ـ تدرك كذلك مسئوليتها فى تطوير المجتمع وبين هذين الموقفين ترسم خطتها وتسلك سبيلها فى بناء المجتمع الجديد .

كل هذه العوامل تدفع الحكومات فى المجتمعات الآسيوية الافريقية الى المشاركة فى كل عمل .

ان هذه الحكومات أكثر واجبات من غيرها باعتبارها من الدول النامية ، وهذه الواجبات الكثيرة تجعل للحكومات القومية حقوقا أكثر من حقوق الحكومات فى الدول المتقدمة .

ان الحقوق هنا ناشئة عن طبيعة الواجبات التى يجب أن تنهض بها الدولة .

ان وضع المجتمع هو الذى يحدد أسلوب التنمية .

دكتور

محمد أحمد خلف الله

رأيتُ الله

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

رأيته اليوم في عيادة الطبيب ومن خلال نفسي ... شعورا طويلة اتردد فيها متكلفة الطريق والجهد ، باذلة المال والوقت ، متحملة الألم والانتظار كل هذا من اجل ضرس واحد ! هنا رأيت الله .. رأيت افضاله وآلاءه .. بلا مقابل تهب يا وهاب البصر والسمع والشم والذوق والاسنان والاضراس بلامقابل تهب يا وهاب العقل والنفس والقلب والروح ومواهب العقل والنفس والقلب والروح فيخترق ذكاء الانسان غوامض الاشياء فتتكشف ، وتلمس نفسه المعاني والمشاعر فترق وتدق وتسمو ، وينبض قلبه فيثري الحياة والاحياء ، وتتوهج روحه فتضيء دنياه ودنيا الآخرين ...

من نعمتك الضياء ضياء القلب والبصر ومن نعمتك الخلود والصفاءصفاء النفس وبقاء الاثر ومن نعمتك الخصب في الشعور والعقل والزرع والثمر حتى حب الناس نعمة منك يحظى بها السعيد الذى برات نفسه من شرورها وقويتها على ضعفها وطهرتها من صغارها فغدت سوية نقية رضية يرضي عنها الناس لانك عنها راض .

كل علوم الانسان منك يا واهب العقل المفكر والبصيرة النافذة ...

كل فنون الانسان منك يا واهب الاحساس المرهف والذوق المترف ، والخيال المجنح ، والطبع الشفاف ، والروح العاشق الرفاف ...

كل فنون الانسان منك يا بديع الحياة والحي فمن بدائعك في السماء والسحاب والنجوم يستوحى الشاعر القصيد .

ومن روائعك في الارض والبحر والطبيعة يستلهم الفنان : رساما ومثالا ومصورا وموسيقيا اللون والحركة والصورة والنشيد .

كل فنون الانسان منك يا مانح الموهبة كلمة معبرة او ريشة مصور او ازميلا مشكلا او وترا مرنما .

كل فلسفات الانسان منك يا داعيا الى تدبر خلقك في السموات والارض .

ولكن علوم الانسان وفنونه وفلسفاته يذهلها تدرك اذا حل فتجمد ، وتروعها ارادتك اذا نفذت فلا تملك من الامر فتيلا ولا تغنى عن نفسها شيئا فتستسلم لارادتك وتذعن لحكمك وتخضع لقدرك ويهبط على الجميع ، لا يستثنى الجاحد والمنكر والمغرور ، ايمان مفاجيء عميق يتمتم لاراد لما اراد الله . ويرين الصمت ويخيم السكون ويسود الوجوم فقد عرفوا ان قضي الامر ... امر الله ..

انت في البداية صاحب الامر وانت في النهاية.. ايضا .. صاحبه .

رحيم تسع رحمتك كل شيء ... كل شيء .
حليم يسع عفوك المذنب والمسيء والعاصي ... حين تشاء .

كريم كرمك لا يحد...قد يعطى الانسان للزهو او الفخر او الاصطناع .. يعطى الانسان وهو محتاج الى العطاء شعورا يعوض عن نقص ، او احساسا يؤكد الذات ، او وسيلة تظهر الغنى والوفرة ... قد يعطى المتفضل اصطناعا للغير او اجتلابا للخير او اجتذابا للمدح والاضواء ... ولكنك تعطى للعطاء لا تريد جزاء ولا شكورا .

وقد يعطى الانسان ويتقاضى الثمن .. وقد يعظم عطاؤه حين يلمحك فيقلد الطبيب صنعتك فيشكل ضرسا من الاضراس أو يرتق فتقا او يراب صدعا في الجسم الضعيف ولو تشدق في الصحة ، الانسان ...

وقصارى الطبيب في احكام صنعته واداء رسالته تحية لقدرتك تنطق بها اجادته وعجزه على السواء ...

وقد يفى الانسان للطبيب او لصاحب معروف ثم يغفل عن ذكرك انت الذى أعطيت الكثير بلا ثمن واحيانا بلا مجهود منه ... بلا سعى ...

انا لا اريد ان اهون من عمل الطبيب ولكنى اصلى للحكيم الاكبر فقد وهبتنى الحياة بنفائسها كلها ثم عدت فضاعفت عطاياك حين وهبتنى البنات والبنين فانا اراك بقوة لانى انظر اليك بعيون كثيرة ، واحسك بعمق لانك تحل منى فى نفوس عديدة ، واحبك فى صدق استمده من نقاء الطفولة البريئة حولى ... احبائى ... احباء الله .

دكتورة نعمات احمد فؤاد

أبو تمّام والتجديد

للدكتور عبد الرحمن عثمان

- ٤ -

الصنعة والتكلف :

الصنعة او التهذيب او الصقل ، امور تجرى فى الفنون على أنها وليدة الثقافة ، واثر من آثار الروية والنزوع الى الجمال . وهى بهذا الاعتبار قديمة فى الشعر العربى ، فقد ظهرت فى حوليات زهير بن أبى سلمى ، وفى قصائد الحطيئة ، ولم يستهجنها عربى ذو ذوق مطبوع ، ولكن الصقل يستحسن اذا لم يزحم الطبع ويأخذ مكانه ، فهو مقبول مستحسن اذا جاء عفوا فى غير كلفة او تعمل ، وهذا هو الضابط فى باب الصنعة والصقل ، يقول ابن رشيق : « ولسنا ندفع ان البيت اذا وقع مطبوعا فى غاية الجودة ، ثم وقع فى معناه بيت مصنوع فى نهاية الحسن ، لم تؤثر فيه الكلفة ، ولا ظهر عليه التعمل ، كان المصنوع افضلهما ، الا أنه اذا توالى ذلك ، وكثر ، لم يجز البته ان يكون طبعا واتفاقا ، اذ ليس ذلك فى طباع البشر» .

وابن رشيق قد استصحب فى حكمه هذا ، النهج الذى ساقه فى كتابه حين يقول : « والعرب لا تنظر فى أعطاف شعرها بأن تجنس او تطابق ، او تقابل ، فتترك لفظة للفظة او معنى لمعنى كما يفعل المحدثون » ، وازعم أن هذا الاستصحاب حمله على ان يقول — كما يفهم من عبارته — ان المصنوع الحسن الذى لا كلفة فيه خير من المطبوع الجيد ، بشرط الا يكثر ذلك فى الشعر ، وهو كما نرى تقييد للحسن ، وحد من توفير الجمال للفن الشعرى وذلك حكم ظاهر البطلان ، لما فيه من خلل واضطراب ، اذ كلما احتفل الشاعر بشعره وهذبه وصقله ، كلما اودع فيه سر جماله وخلوده ، ووفر له كمال التأثير بالشكل والمضمون على السواء ، فهذا شىء ، والتكلف فى الشعر شىء آخر .

والتهذيب فى الفنون شريعة عامة فى ادب كل أمة ، فهذا « لنجينوس يقول : ان الشاعر الذى يريد أن يستغل مواهبه الى أقصى حد ، لا يجوز له ان يتجاهل القواعد ، وأن يتجاهل الفن الذى يريه كيف يستخدم قوته الابداعية بعقل وروية ، ومن العقل ان يصغى الشاعر الى صوت الصناعة (الشعرية) اذ ترشده الى كيفية استخدام ماحبته به الطبيعة » .

ويذكر الناقد ، هازلت ان الشعر ليس عبثا خالصا أو تسلية لبعض القراء الكسالى ، ولكنه مثار الدرس ، والغبطة للنوع الانسانى فى مختلف العصور » .

هذا وقد كان ابو تمام صاحب صنعة وصقل ، بل انه على التحقيق صاحب مدرسة ، ورأس مذهب ، اذ بذل فى سبيل ذلك طاقة فكرية هائلة حاول بها ان يؤسس منهجا جديدا يجرى عليه الشعر العربى ، فهذا ابن الاثير يقول : «واما أبو تمام فانه رب معان ، وصيقل ألباب وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الاغراب الذى برز فيه على الاضراب » .

ولكن هذه الطاقة الفكرية التى حشدها فى فنه كانت تجمح به الى التكلف فى اختيار الالفاظ والمعانى ، فان للالفاظ أحيانا طاقة محدودة لاتكاد تنهض بحق المعنى الذى يتمثل فى خاطره ، وهكذا يراه الشاعر ابن الرومى ، اذ الطائى عنده كان يطلب المعنى ولا يبالى باللفظ حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لاتى بها » .

عمود الشعر :

يحدد المرزوقى فى مقدمة شرح ديوان الحماسة لأبى تمام عمود الشعر فى النقاط الآتية : شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة فى الوصف ، والمقاربة فى التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية .

وابن رشيق لا يغرب هذا الاغراب فى حديثه عن عمود الشعر عند العرب : اذ يقول : « ولكن نظرها

(العرب) في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وابرازه ، واتقان بنية الشعر واحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض » .

وعلى هذا البيان جرى الشعراء العرب في قصائدهم حتى جاء بشار بن برد وابن هرمة من المحدثين فكانا أول من فتق البديع ثم اقتدى بهما كلثوم بن عمر العتابي ، ومنصور النمري ، ومسلم بن الوليد ، وأبو نواس ، ثم ظهرت طريقة أبي تمام ومن تتلمذ على نهجه كابن الرومي ، وابن المعتز ، فكانت ثورة على التزام عمود الشعر العربي ، حمل لواءها ابو تمام في باب المعاني والالفاظ ، فكانت الموازنة بين طريقته وطريقة الملتزمين للعمود الشعري مما نجده مبسوطا في كتاب الموازنة لابي بشر الآمدي .

والذي أميل اليه ان الخروج على هذا العمود ليس عيبا يضاربه الشعر وينتقص من أجله الشاعر ، فالصنعة والعمق من مقتضيات الفن الخالد ، وانما العيب في الصنعة المسرفة التي تفضي بالشاعر الى انحراف عباراته عن الأهداف التي نصبها من معانيه أو اثقالها بالزينة التي يستغني عنها القصد في تحقيق معنى جديد من معاني الجمال في الشعر ، وكذلك الشأن فيما يتصل بالجرى وراء المعاني والافكار . كانت تجرى من قبل في الكلام جريان الصفرة في معدن الذهب ، وتشيع في حر الاساليب كما يشيع الشحوب في وجوه الحسان ، كما نراها في القرآن الكريم : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » ، « وانه هو أضحك وابكى . وانه هو أمات واحيا » ، وكما نرى في شعر مسلم وأبي نواس .

وغرامه بكل هذا ، ربما يكون سببه أنه رآها — وهو الكلف بالجمال — تجمل الاسلوب وتحسنه، ولكنا لا نعتقد في أبي تمام الذواقة ، أن يرى الحسن في القبح ، أو يشيم السلاسة في التعقيد ، ولعل كلفه بهذا انما هو نوع من محاولته التجديد ، واظهار البراعة في تهيئة الشعر العربي واعداده لمسايرة عصر الترجمة لينتقل به من النسج العربي الذي عرف له على عصر الجاهليين والامويين الى نسج جديد سهل يكون فيها اكثر صلاحية لاحتضان المنطق والحكمة والفلسفة .

فاذا استقام هذا الرأى وصلح أن يكون شفيعا لابي تمام في تكلف البديع وفي الرياضة الخشنة — أحيانا — للحكم والامثال لتاخذ مكانها من شعره ، فان هذا الرأى لن يشفع لرداءة مثل هذا النوع من النتاجه حينما يعرض على موازين النقد .

لانه كان مفتونا فتنة طاغية بالمحسن البديعي ، ومغرما أيما غرام بمحاولة التجديد في عمود الشعر العربي ، ولو اقتصد في هذين بعض الشيء ولم يسرف فيهما على نفسه لاستطعنا أن نلتمس له عذرا في افتتانه بالتجديد لان الفنون في تجدد دائم وتطور صاعد بها نحو الكمال ، فمحاولة التجديد اذن في هذا الباب أمر لا معدى عنه ولا بد منه .

وشعر أبي تمام يشبه الرقى حين يجرى فيه مع طبعه ، أو ينطلق معه على سجيته ، أما اذا جنح به غرض عن سنن الطبيعة الشاعرة ، أو لوى عنانه شيء مما قدمنا ، فان شعره يتراءى لك معقدا ملتويا وغامضا كأنه الأحاجي والالغاز وهذا هو الفرق ما بين الطبع والصنعة ، وما بين السماحة والتكلف .

فمن مطبوع شعره :

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد
وعاد قتادا عندها كل مرقد
وانقذها من غمرة الموت أنه
صدود فراق لا صدود تعمد
فاجرى لها الاشفاق دمعا موردا
من الدم يجرى فوق خد مورد
هي البدر يغنيها تودد وجهها
الى كل من لاقت ، وان لم تودد

ويمضي في هذا السحر فيقول : —

ولكنني لم أحو جمعا موفرا
ففزت به الا بشمل مبدد
ولم تعطني الايام نوما مسكنا
ألذ به الا بنوم مشرد

وطول مقام المرء في الحي مخلق
لديباجتيه ، فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة
الى الناس أن ليست عليهم بسرمد

ومما جرى فيه سمحا مع طبعه مرثيته التي رثا بها محمد بن حميد الطوسي ، وهي مشهورة ، منها :

وما مات حتى مات مضرب سيفه
من الطعن واعتلت عليه القنا السمر
وقد كان فوت الموت سهلا فرده
اليه الحفاظ المر ، والخلق الوعر
فأثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من دون اخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه
فلم ينصرف الا واكفانه الأجر
كأن بني نبهان يوم وفاته
نجوم سماء خر من بينها البدر

واحسن ما قيل في ذم الشيب على كثرته قوله:
غدا الشيب مختطا بفودي خطة
طريق الردى فيها الى النفس مهيع
هو الزود يجفى ، والمعاشر يجتوى
وذو الالف يقلى ، والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع
ولكنه في القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا
وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

ومن مصنوع شعره ومتكلفه ، قصيدته التي يمدح بها عياش بن لهيعة ومطلعها :

احيا حشاشة قلب كان مخلوسا
ورم بالصبر عقلا كان مالوسا

ومنها :

الواردين حياض الموت مترعة
ثباتبا وكراديسا كراديسا
نموك فنعاس دهر حين تحزبه
امر يشاكه آباء قناعيسا

وهذا الاختلاف الذي ترى في ديباجة شعره قد تبرره طبيعة العصر الذي عاش فيه أبو تمام ، اذ كان عصر تحول فكري خطير في السياسة والعلوم والآداب ، فقد نقل الأمة كلها من حياة الى حياة ، ووثب بالفكر العربي — في شتى مظاهره — من آفاقه التي عرفت له الى آفاق أخرى جديدة لم يكن له بها عهد .

فبواكير الحكمة والامثال ، وومضات الفلسفة والمنطق أخذت تغذي أفكار الادباء وتنير عقول العلماء فبدت آثارها تظهر في انتاجهم ظهورا واضحا .

وهذا البحث الثقافي الجديد يحتاج الى مجهود عقل جبار في ارساء قواعده وتيسيره للأذهان ، وهو في مجالنا الادبي أيضا يقتضي قرائح الأدباء عنتا ومشقة في ترويض المعاني المتأبية وتوطئة متونها حتى تقبل على الأفهام في غير اباء ولا جموح .

شهد أبو تمام الشاعر المطبوع كل هذا ، فتأثر ببعض ما ترجم من آداب وحكم وأمثال ، ومن قبل ذلك أغرم بالبديع أيما غرام .

فاذا لم تتأثر فيه موهبته وغنى على ايقاع طبعه الأصيل ، جاء في دولة الشعر مجليا واماما .

أما اذا انصرف الى ما يحفظ من غريب ، أو حاول الزينة ، أو تكلف الحكم والامثال .. فهو النسيم الهامس حينا ، والاعصار المخرب أحيانا .

ومن رائع شعره أبيات زادها البديع روعة وكستها الحكم والأمثال جمالا قوله :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وقوله :

ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا
ان السماء ترجى حين تحتجب

وقوله :

ان الأسود أسود الغاب همتها
يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

هذا ، ومما أخذ على أبي تمام تكلفه لاستعاراته وجه شبه بعيد ينبو به موضعه كقوله :

استنبت القلب من لوعاته شجرا
من الهموم ، فأجنتها الوساويسا

وكبيته المشهور :

جذبت نداه غدوة السبت جذبة
فخر صريعا بين أيدي القصائد

د. عبد الرحمن عثمان

فى العلاقة بين الناقد والمؤلف

للدكتور أحمد كمال زكى

من أين يبدأ الناقد ، وكيف ينتهى ؟

أترى اذا حلل نفسية الاديب — عن طريق عمله — ووضع يده على معالم الطريق الذى سار فيه يكفى — ولو بشكل عام — للوفاء برسالة النقد ؟

واذا استطاع أن يصل الى مغزى الموضوع ، هل يصل الى النهاية التى ينبغى ان يقف عندها ؟

ولو قد مال عن هـذا وذاك الى محـاولة تحديد القيمة الجمالية فى النص أو بيان امتداداته الاجتماعية ليؤكـد — كما أكد شـوبنهاور — انه عبر عن ارادة الحياة ، أفيكـون قـد قطع بالرأى الاخير ؟

ليس من السهل أن نقدم اجابات شافية عن كل هذه الأسئلة ، ومثلها كثير . كذلك لا نستطيع أن نزعم أنها تطرق كل مجالات الناقد ، بل لا نزعم أنها محور مناقشات لناقد بعينه ، فان ما قد يأخذ به يرفضـه غيره ، وان يكن يتفق معه على أن المعرفة الكامنة فى أى نص — وهى وجدانية — جزء من رسالة الفن على وجه العموم !

ومعنى هذا أن الاتجاه الى الوجدان شرط أساسى لقيام أى بناء نقدى ، وسواء أكان النقاد بلاغيين أم اجتماعيين أم ما أرادوا أن يكونوا فانهم لابد واقفون عنده ، ومن ثم لا نخطىء اذا قلنا انهم مهمـا تفرقوا يلتقون فى النهاية .

وعلى هذا الاساس تكون مجدية تلك المحـاولة التى ترصد خطوات الناقد . حقا قد يكون فيها شىء من الاعتساف ، وقد تلغى كثيرا من جوانب التفرد عند مختلف النقاد — لاسيما اذا كانوا موفقين — الا أنها فى النهاية تسف للقارىء جماع ما يؤديه النقد وهو ينظر الى الصورة والمضمون .

وهنا يمكن أن نتوجه بالسؤال : كيف يمكن والحال هذه أن تمضى عملية النقد من بدئها حتى النهاية ؟

فى اجابتنا عن هذا السـؤال لن نحتاج من الناقد الى أكثر من مناقشة موضوعية للنص الادبى . ولكن لما كان هذا النص يرتبط بفنان ما فليس شك فى أن أسـلوب التعرف اليه ينبغى أن يحدده ، وبالتوازن بينهما — وهـذا ما يقوم به الناقد — نرى مصـادر التجربة وصـورها ومعانيها ، وتكون وضـوح الرؤية غالبا محكا لتوفيق الفنان .

واذن فمعنى ذلك كله أن أمامنا نصـا وفنانا أو أثرا أدبيا وصـاحبه ، والى جانب هذين ثمة قيم يفرضـها نوع الاثر الادبى وحقائق يقـررها موقف الاديب ، وسنحاول فيما يلى أن نقف عند الفنان أو عند المؤلف بوصفه بوتقة تنصهر فيها المادة قبل أن تتشكل فى صورتها الجمالية النهائية ، وتتسع للموقف الفكرى باطراد .

***

والحقيقة أن المؤلف قاعدة أساسية لفهم النص ، وقد ظهرت خطورة هذه القاعدة بتشعب أبحاث علم النفس واقتحامهـا مجالات الادب على أسـاس أن العلاقة بينهمـا هى تحديد الدوافع والاحسـاس والادراك وما أشـبه ذلك ، وكشـفت مدارس السيكلوجيين من بنائية ووظيفية وجشـتالتية أن شـبرانجر مثـلا يؤدى الدور الذى يؤديه فانت وأن الاثنين يسـهمان فى الكشـف عن سـلوكية الاديب أو نفسـيته ، التى هى نقطة انطلاق نحو النص ان لم تكن بؤرته أو البوتقة التى ينصهر فيها .

على أن النقد القـائم على التحليل النفسى كاد ينحصر اليوم فيما خلفه سـتارك يونج وأتباعـه الذين شـغلوا أنفسـهم بالرمز والاسطورة كما شـغل الفرويديون أنفسهم باللغة والباطن . ويوضـح كتاب فردريك برسـكوت « العقلية الشـعرية » — وقـد أصـدره سـنة ١٩٢٢ — فى مقـدمة أوضـح كتب النقـاد السـيكلوجيين الذين يطبقون نظريات فرويد على الادب ، ونرى له شبه تأثير على أقطاب من النقاد منهم أ . ريتشاردز صاحب نظرية التحليل النقدى القائم على فهم اللغة وصاحب كتاب « قواعد النقد الادبى » الذى وضعه سنة ١٩٢٤ ولا يزال الى اليوم مرجعا أصيلا لنقادنا المحدثين .

هذا لا يخفى اطلاقا — فى تحديد ملامح المؤلف — دور التاريخ من حيث هو علم يسجل نشاطات الانسان على مدى الزمن . وكان لاشتغال علم النفس الفهمى — الذى اقتحم نفسية الاديب — بالعلوم الاجتماعية وبالانثروبولوجيا أثر فى فتح باب كبير نفذ منه التاريخ على نحو لم يعهده القدماء قط . واليوم تتلاقى فلسفة النقد الادبى الحديث مع فلسفة التاريخ المعاصرة ، حتى لنرى أميل برييه يتحـدث بثقـة عن النقـد التاريخى ، ونحو ذلك .

وبقدر ما تضخم نقد النص بمجاهدات النفسيين ازدحم بالتاريخيات وغيرها من الانسانيات بحيث ضاعت الحقيقة الادبية ، او كادت . ولتلافي هذا يجب على الناقد الا يسرف في البعد عن فنية النص ، يجب ان يستمد من المؤلف مباشرة ما يلقى الضوء على اثره مع ربطه بكل ظروف البيئة — مادية كانت او معنوية — بحيث يصبح من السهل بعد ذلك ان يتساءل : كم جعل المؤلف نصه انعكاسا للتجربة ؟

وبعبارة اخرى يتساءل : الى اى مدى جعل المؤلف اثره تقليدا للحياة ؟

وهكذا تثار قضية « المحاكاة » على نحو اتفاقي ، ولكنه اصيل لان الفن شيء آخر غير الحياة ، ولان العمل الادبي واقع فعلي مضاف اليه اعماق الاديب وهذا ما نسميه بالواقع الفني ، وهو نفسه ما تدور حوله المعركة التقليدية من حيث كونه صدى الهام او نتيجة دربة وتمرس .

ومسألة الواقع الفني تلغي السؤال الذي يطرح دائما وهو : هل المؤلف صادق ؟ بمعنى هل النص تصوير لاحداث حقيقية ؟ ان قبول النص يتوقف على مدى قدرة المؤلف على « منطقة » التجربة كصورة فنية ، فللحياة منطقها ، وللفن منطقه ، بل للموقف الأدبي سواء اكان شعرا أم قصة أم مسرحية منطق معين . وما قد نقبله في الحياة قد نرفضه من المؤلف او قد نرفضه في موقف فني له ونقبله في موقف آخر .

فالصدفة قد تبدو جميلة في الحياة ، وقد نقبلها ونسلم بها ، بل قد لا نرى في تتابعها غرابة على الاطلاق . على انها في العمل الادبي تصبح مبتذلة ، وهي قد تكون اكثر ابتذالا اذا احدث المؤلف بها « نقلة » جوهرية في رواية ، او اذا لجأ اليها اكثر من مرة في المواقف العادية .

صدق المؤلف على اية حال ان كان يطرح للمناقشة فعلى اساس ارتباطه بالنص لا على اساس اخلاقي محض ، ويعني هذا ان انشغاله بالحياة المثيرة للانفعال والباعثة على الاحلام يجب ان يكون في حدود منطق عمله الفني . ومن ثم قد يجوز للناقد ان يتحدث عن ان تاثير ماركس مثلا فيه يقترن دائما او احيانا بتاثير فرويد ، مع ان منطق الحياة يرفض المصالحة بين المذهبين ؛ فالاول يؤكد اشكال الجماعة والثاني يعنى بالجوانب الغريزية والذاتية . ومع ذلك فقد يجد ناقد آخر ان كلا من ماركس وفرويد لا يعملان الا لسحق الهيكل الاقتصادي والكيان الاخلاقي جميعا .

ومعنى هذا ان تقاليد المؤلف تدخل في اعتبار الناقد شاء او لم يشأ ، وان احلامه ومكبوتاته ورموزه تجد مجالا للتشريح والتقويم في اثناء تقويم الحقيقة عنده .

ان المؤلف او شخصية الفنان مشكلة ، ولكنها تخضع دائما لحلول لا تبعد كثيرا في الواقع ، بحيث يمكن ان تجعل « الجنس » عنده مصدرا للاضطراب العصبي مرة ، ومرة اخرى بدءا للتفوق ، ومرة ثالثة طريقا للالحاد ، وهكذا . . .

واخيرا نريد ان نسأل : ماذا لو كان المؤلف يكتب عن نفسه فعلا ؟

الجواب سهل ، فهو في هذه الحال اما يصطنع سيرة شخصية واما يسجل خواطر لا يقصد بها تشكيلا فنيا ، واما يكتب مذكرات او يرصد لمراسلات . ولكل هذه مقاييس خاصة ، بحيث نعجز عن ان نطبق على المذكرات مثلا ما نطبقه على السير ، لان هذه تستمد وجودها من شتى اسباب بعضها التاريخ العلمي ، ودور المؤلف هنا هو ان يطرح على الفن تلك الأسباب من خلال تجربته او في اطار انفعالاته بها وتفاعلها هي معه .

ولكن هذه قد تجعل في وسعنا ان نجد منفذا الى تفهم مثيلها من الانواع الادبية كالقصيدة والقصة ، فتصبح القضية امام الناقد لا ان يناقش ما يقول المؤلف وانما يناقش كيفية ما يقول . بمعنى انه يعرض بالبحث لبنية النص ، جاعلا الشكل او الهيئة احدى وسائل التعرف الى هذه البنية .

ويمكن أن نقول بصفة عامة ان المؤلف في تشكيله تجربته انما يثير انتباه الناقد بموقفه الفكري او بتقاليده على نحو ما قدمنا منذ قليل ، وذلك لان المادة التي تتركب منها بنية العمل الأدبي — وان تكن تنتمي الى ما هو واقع فعلا — تنطوي على طريقته الخاصة في النظر الى الاشياء وعلى درجة احساسه بها . ومن ثم لا يمكن ان يتصور الناقد ان انتاجه الفني مجرد تعبير عن ذات هي منعزلة عن العالم ، والا كان عليه ان يعزل مادة النص عن بنيته .

وبعد ، فان قضية المؤلف تبدو شائقة دائما في نظر جميع النقاد . ويوم يوضع في الحسبان انه في خلقه المادة — التي كانت في هيولاها ضائعة غامضة — انما يصدر عن ذات في مقدورها ان تشكل بأسلوب يمس خبرات الآخرين ، فقد يكون أصوب أن يعاد تقييمه على اسس جمالية خالصة .

دكتور احمد كمال زكي

مفهوم الثقافة

عند نجيب محفوظ

للاستاذ أنس داود

(٢)

بهذه الردود الحاسمة يبين احمد عن اى طراز من المثقفين ينتمى اليه .. انه طراز المناضلين بحق ، الذين لا تزعزع صلابة ارادتهم وهن العاطفة ، ولا تحولهم عن وضوح الرؤية سذاجة الاحساس . ان ايمانهم بالعلم ايمان نهائى ، وايمانهم بضرورة الحل الاشتراكى ايمان واع وعميق ، ونضالهم من اجل التغيير الاجتماعى نضال صلب لا يهن .

ومن خلال الجدل الذى ثار فى كلتا الروايتين ندرك اشياء عن انحياز الكاتب نجيب محفوظ من ناحية ، وعن فهمه للتيارات التى تتصارع فى وطنه ، ونوع الردود الحاسمة التى يحملها التفكير الاشتراكى لكل التساؤلات ..

من هذه الردود الحاسمة ما كان يجابه به احمد شوكت (اليسارى المتطرف) اخاه عبد المنعم (اليمينى المتطرف) عندما ينفجر بينهما النقاش حادا عن «الدين» ان احمد وهو يمثل الاتجاه الذى يعطف عليه نجيب محفوظ ، وينتصر له ، يستنكر على الدين اشياء كثيرة ، ويعتبره حلا مرحليا فى تاريخ الانسانية ، مضى او انه ببزوغ عصر العلم ، والايمان بالخبرة والتجربة الانسانية ، والولاء للعقل ، ها هو يوضح رايه فى « مرحلية الدين » بهدوء وبساطة :

« ان بقاء العقيدة اكثر من الف سنة آية لا على قوتها ، لكن على حطة بعض بنى الانسان ، ذلك ضد معنى الحياة المتجددة ، ما يصلح لى وانا طفل يجب ان اغيره وانا رجل ، طالما كان الانسان عبدا للطبيعة والانسان ، وهو يقاوم عبودية الطبيعة بالعلم والاختراع ، كما يقاوم عبودية الانسان بالمذاهب التقدمية ماعدا ذلك فهو نوع من الفرامل الضاغطة على عجلة الانسانية الحرة » . (السكرية : ١٦٠)

وتاييدا لفكرته يقول احد الذين اشتركوا فى النقاش الذى نشب بينه وبين اخيه :

« التنظيم القائم على العلم وحده ينبغى ان يكون كل شىء ، يجب ان نؤمن بشىء واحد هو استئصال الضعف البشرى بكافة انواعه ، ومهما بدا عملنا قاسيا ، وذلك للوصول بالبشرية الى مثل قوى نظيف » . (السكرية : ١٦١)

ولا يدع احمد فرصة تمر — بينه وبين اخيه — دون ان يكشف عن الهوة العميقة التى تفصل بينهما ، وكثيرا ما تبدو كلماته وتعقيباته كالبسمة الرفيقة الساخرة — فى مودة ومرحمة — من سذاجة اخيه ، المشيرة الى ابتعاد اخيه بتفكيره الدينى الغائم عن جذور المشكلات التى تواجهه ، كتلك اللمحة الخاطفة ، العميقة الدلالة ، فى رده عليه عندما سيقا الى السجن .

« تنهد عبد المنعم وهمس بصوت لم يسمعه الا احمد :

— ايزج بى الى هذا المكان لا لسبب الا لاننى اعبد الله ؟

فهمس احمد فى اذنه باسما :

— وما ذنبى انا الذى لا اعبده ؟! » .

(السكرية : ٢٨٤)

ويؤكد احمد فى كل حين انحسار الدين عن كل مجالات الحياة ، وعدم استمرار فعاليته فى زماننا ، الى درجة انه لم يبق منه سوى مراسيم تمارس بحكم العادة ، وبقوة الانسياق فى تيار التقاليد ، دون استشعار لخطرها ، فعندما التقى به خاله «كمال» وفوجىء بخبر زواجه ، ساله باسما :

« وهل تزوجت على سنة الله ورسوله ؟

فضحك احمد وقال :

— طبعا ، الزواج والدفن على سنن ديننا القديم ، اما الحياة فعلى دين ماركس ! » (السكرية : ٣٢٢)

وفى نفس المسار — تقريبا — تسير افكار احمد راشد فى « خان الخليلى » ، الصورة الموازية لاحمد شوكت فى « السكرية » ، والمقابلة لعبد المنعم ولاحمد عاكف فى كل منهما ، فالدين كما يعتقد — وكما يعتقد بالتالى نجيب محفوظ — لم يعد كافيا لحل مشكلات البشر فى هذا العصر ، وتمثل آلامهم وآمالهم .. ان «حس الزمن» كان حادا عند كل من احمد شوكت واحمد راشد بينما يكاد يفقد دلالته عند عبد المنعم واحمد عاكف ان لم تكن هذه الوصاية العميقة على الحاضر والمستقبل التى يمثلها فى ضميرهما نوعا من الاحساس بايقاعه ، وان كان احساسا ورائيا يفقد معه التطور كل دلالته وكافة اسلحته .

واذا كان موقف نجيب محفوظ من الدين قد اخذ شكلا حادا فى روايته التى لم تنشر فى كتاب بعد « اولاد حارتنا » فان هذا الموقف لم يكن انفجارا نجائيا ، بل كان تعميقا لمجرى قديم فى تكوينه الفكرى ، وتاكيدا لبعد من ابعاد مفاهيمه الجذرية ، فليس

نجيب محفوظ بالكاتب الذى يواجه الحيـــاة بخواء فكرى ، ولا بمجموعة من المفاهيم المتناقضة ، ولكنه كاتب يدين بوجهة نظر عميقة فى الحياة تمثل قاعدة راسخة يعلو عليها بناء رواياته، ويصدر عنها فهمه للانسانية ومشـــكلاتها فى مرحلتها الحضـــارية الراهنة .

وفى « اللص والكلاب » يسلط نجيب محفوظ الضوء على جانب آخر من قضية المثقفين فى بلادنا بفضح طائفة « الانتهازيين » والمتاجرين بالشعارات

فسعيد مهران خرج من السجن ليرى رءوف علوان الذى علمه كيف يحمل المســـدس ، وكيف يقرأ الكتاب « المسدس يتكفل بالماضى والـكتاب للمستقبل .. » ، ثم شجعه على السرقة عندما اضطر اليها اول مرة ، واعطـــاه مبررا عريضـــا ليستمر فى طريقها !

«سرقت ؟ .. هل امتدت يدك الى السرقة حقا ؟ .. برافو ، كى يتخفف المغتصبون من بعض دينهم ، انه عمل مشروع ياسعيد ، لاشك فى ذلك »

ومن يومها يعتبر الشـــاب المكافح رءوف علوان رائده ومرشده ، وأستاذه الروحى حتى تصبح حياته « امتدادا لافكار هذا الرجل » .

وقد دخل سعيد السجن ورءوف لم يكن الا محررا بمجلة النذير ، مجلة منزوية بشارع محمد على ، ولكنها كانت صوتا مدويا للحرية » ، ثم يخرج من السجن ، ويذهب الى مسكنه فاذا به فيلا ضخمة باذخة الثراء ، فلا يملك الا أن يتساءل :

« ولكن كيف ؟ .. ما الوسيلة ؟ حتى اللصوص لا يحلمون بذلك .. » (ص ٣٦)

وحين يلتقى به يجده صورة من التنكر لماضيهما ، والغدر بصداقته .. هذا الذى صنعه بافكاره ، وخلقه بتشدقاته وتطلعاته ! ويل له من هذه الخيانة :

« تخلقنى ثم ترتد ، تغير بكل بساطة فكرك بعد أن تجسد فى شخصى ، كى أجد نفسى ضائعا بلا أصل وبلا قيمة وبلا أمل ، خيانة لئيمة لو اندك المقطم عليها دكا لما شفيت نفسى » (ص ٤٧)

ومنذ تلك اللحظة تلتهب فى صدره نيران الحقد والغضب على كل « الكلاب » على الغدر فى مجتمعه بكل صوره :

زوجته التى غدرت به وتزوجت تابعه عليش .

عليش الذى أرشد عنه البوليس وأغوى زوجته .

رءوف علوان الذى غدر بشعاراته ، بالشعب الذى كان يتشدق باسمه ، وبالعدالة التى مرغهـــا فى الحضيض ..

وعند ذلك قرر أن يشهر مسدسه فى كل الوجوه « لان الخيانة بشعة ، ولكى تصفو الحياة يجب اقتـــلاع الخبـــائث الاجرامية من جذورها ، ولان « الرصاصة التى تقتل رءوف علوان تقتل فى الوقت نفسه العبث ، والدنيا بلا اخلاق كون بلا جاذبية» .

ومن هنا .. يتخذ هذا البطل صورة غير عادية انه ليس لصا بالمعنى المألوف ، ولكنه «ثائر» على اوضاع اجتماعية بالغة الفساد .

وهو نفسه يتجول فى أعمـــاقه ، ويدرك حقيقة عمله .. انه رمز .. رمز للمغلوبين على امرهم فى مجتمع يحمى اللصوص الحقيقيين ، فعليه أن يكافح ليـــلا كاملا ، ويبشر بفجر جديد ، يكافح من اجل الملايين برغم أن هذه الملايين لا تصنع من أجله شيئا، انها تتعاطف معه على البعد ، ولكنها ــ أخيرا ــ تتركه وحيدا ..

« اننى رغم تاييد الملايين أجدنى ملقى فى وحدة مظلمة بلا نصير ، ضياع غير معقـــول ، ولن تزيل رصاصة عندعدم معقوليته ، ولكنها ستكون احتجاجا داميا مناســـبا على أى حال ، كى يطمئن الاحيـــاء والاموات ولا يفقدوا آخر امل »

(ص ١٣٩ اللص والكلاب)

وحين ذلك يدرك أهمية عمله ، بل يدرك عظمته ويحدث نفسه عنها :

« عظيم بكل معنى الكلمة ، عظمة هائلة ولكنها مجللة بالسواد ، عشيرة للمقابر ، ولكن عزتها ستبقى بعد الموت ! ان من يقتلنى انما يقتل الملايين ، أنا الحلم والامل وفدية الجبناء ! وأنا المثـــل والعزاء والدمع الذى يفضح صاحبه » (ص ١٤٨)

ان نجيب محفوظ يضيف فى هـــذه الرواية هذا الصنف الوضيع من المثقفين الى الخونة والغادرين وكلاب المجتمع الذين يجب أن يتخلص منهم المجتمع بكل وسيلة ، ويتخلص من الظروف التى أوجدتهم ، انه يشجب التكسب بالثقـــافة لانهـــا لديه رسالة انسانية خالصة .

ومما تقدم نستطيع أن نقول ان مفهوم الثقافة عند نجيب محفوظ يقوم على ثلاث دعائم واضحة هى :

١ ــ ضرورة الايمان بالعلم .

٢ ــ ضرورة الحل الاشتراكى .

٣ ــ ضرورة النضـــال المخلص من أجل مجتمع انبل وأفضل .

انس داود

التراث العربي مظاهر الاعتناء به

للدكتور حسين نصار

لم يقصر العرب فى جهودهم على جمع التراث العربى والحفاظ عليه ، بل عملوا على طبعه ونشره ، ذلك العمل الذى سموه « احياء التراث » . وان اتبعنا التسلسل التاريخى : كان احياء التراث العمل الاول الذى التفت اليه العرب ، وقاموا فيه بمحاولات سبقت محاولاتهم فى جمع التراث .

حقا ان الطباعة اتت الى الشرق الاوسط على ايدى اليهود فى تركيا ، والمسيحيين فى لبنان وسورية وكان اول ماطبعوا كتبهم الدينية . ولكن ما ان انتقلت الطباعة الى ايدى المسلمين حتى عنوا بطبع اشياء من تراثهم القديم الى جانب مايطبعونه من تراثهم الحالى .

فقد كان الكتاب السادس والعشرون من مطبوعات المطبعة الاميرية ببولاق «مشارع الاشواق الى مصارع العشاق ، ومثير الغرام الى دار السلام » ، الذى اصدرته فى سنة ١٨٢٦ ، اى بعد ست سنوات من انشائها . ثم اصدرت كتابى الف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة فى سنة ١٨٣٦ . ثم توالت الكتب ، وان كان الناظر فى قوائم الكتب التى طبعتها الاميرية يتملكه العجب لكثرة ماتضمه من كتب التراث الفارسى اولا ثم التركى ، وقلة ماطبعته من كتب التراث العربى فى السنين الاولى من عهدها . ولكن ذلك – بطبيعة الحال – يتفق مع النظام التركى الذى كانت تخضع له البلاد .

وحدث مايشبه ذلك فى لبنان وسورية وتركيا . فقد اصدرت مطبعة بيت الدين الاولى ، التى اسست فى سنة ١٨٥٢ فى لبنان ، شرح الزوزنى للمعلقات . واصدرت المطبعة اللبنانية القائمة فى بيت الدين ايضا كتاب كليلة ودمنة فى سنة ١٨٦٨ م . واسس أحمد فارس الشدياق مطبعة الجوائب التى كان لها شهرتها المدوية فى العالم العربى ، وكان لها فضلها العظيم فى التراث العربى ، فى تركيا فى سنة ١٨٧٠م ولازال كثير مما طبعت مراجع للباحثين اليوم لايجدونه فيما طبع غيرها . واول ماعرف من كتب التراث التى طبعت فى سورية ديوان صفى الدين الحلى ، الذى صدر حوالى سنة ١٨٨٣ م .

وعرفت المطابع الطريق الى التراث القديم ، وذاقت مايدره من مال وشهرة ، فاقبلت عليه المطابع الحكومية والأهلية . وصار احياء التراث عملا تجاريا رابحا يتهافت عليه الناشرون ، ولازال كذلك الى يومنا هذا .

وكان من آثار هذا الاقبال ان الحق بمطبعة بولاق قسم مستقل ، سمى « بالقسم الادبى » ، وفى سنة ١٩٠٢ ضم الى المطبعة ، وجعل ادارة من اداراتها . وكانت مهمته الاشراف على مايطبع من كتب التراث وبقى هذا القسم الى سنة ١٩١٤ ، اذ نقل هو وقسم من المطبعة وضما الى دار الكتب . واستمر القسم الادبى ، احد اقسام دار الكتب ، ويؤدى اعماله الى ان الغى فى سنة ١٩٥٥ ، تحت ايحاء الدعوة الى توحيد الاشراف على مايطبع من التراث القديم ، وعدم التزام القسم منهجية التحقيق .

وفى تلك الاثناء ، كانت «وزارة المعارف المصرية» قد انشأت ادارة للثقافة العامة ، وجعلت من اقسامها واحدا لاحياء التراث حوالى سنة ١٩٤٩ . وانتقل ذلك القسم مع الاقسام التى انتقلت الى وزارة الثقافة والارشاد القومى ، ثم آل اخيرا الى المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر .

وقد حاولت تلك الاقسام أن تسهم فى احياء التراث اسهاما ذا اثر ، ولكن ما اخرجته من كتب لازال قليلا جدا اذا ماقورن بتاريخها الطويل ، وبخاصة اذا استبعدنا مانشرته مطبعة بولاق . ولكن هناك محاولتين يجب التنبيه اليهما ، لانهما محاولتان عامتان واسعتا النطاق .

اعلن قسم احياء التراث من ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم عزمه على اخراج مجموعة كبيرة من كتب التراث ، والحاقها بمشروع الالف كتاب وعين الكتب والمحققين ، والمنهج . ولكن السنة كثيرة وقفت فى سبيل المشروع ، وبذلت الجهد فى هدمه ، ونجحت دون أن تقيم فى موضعه بناء ما .

وفى الشهور الاخيرة اعلن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عن مثيل للمشروع السابق ، سماه « المكتبة العربية » وسار خطوات فى سبيل تنفيذه . ولعل الالسنة التى

تلفقته والخصومات الشخصية لاتقضى عليه كما قضت على سابقه . فالمجال متسع للتقويم والتسديد أما الهدم فليس فى صالح أحد .

ولم تسر سورية والعراق على خطى مصر ، فلم ينشأ اقساما لاحياء التراث ، وتركا ذلك للناشرين اولا . ولكن احياء التراث كان من اسباب انشاء المجامع بالبلدين . فقد وكل الى المجمع العلمى العربى الذى اسس فى سنة ١٩١٩ فى دمشق « النظر فى اللغة ، واوضاعها العصرية ، ونشر آدابها ، واحياء مخطوطاتها ، وتعريب ماينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الاوربية ، وتاليف ماتحتاج اليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد ... »

فعلى حين كان المجمع المصرى لغويا محضا – كما رأينا – كان المجمع السورى ممثلا لاتجاهات الثقافة العربية جميعا ، من احياء للتراث القديم ، ونقل عن الثقافات الاخرى ، وتاليف ، الى العناية اللغوية .

وبقى المجمع العلمى العربى بدمشق الجهة الرسمية المنفردة بالاشراف على اصدار كتب التراث القديم الى ان كانت الجمهورية العربية المتحدة ، فتبادل طرفاها التاثير . انشىء بوزارة الثقافة السورية قسم لاحياء التراث ، لازال يعمل الى اليوم ، وعهد الى مجمع اللغة العربية بمصر الاشراف على كتب التراث . ومارس المجمع هذا الاشراف سنة أو اكثر ، ثم سحب منه هذا الحق .

وعلى نمط المجمع السورى قام المجمع العلمى العراقى فى سنة ١٩٤٧ ، اذ تقول المادة الثانية من مرسوم انشائه : « يقوم المجمع :

(أ) بالعناية بسلامة اللغة العربية ، والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشئون الحياة الحاضرة .

(ب) بالبحث فى التاليف فى آداب اللغة العربية ، وفى تاريخ العرب والعراقيين ، ولغاتهم وعلومهم وحضاراتهم .

(حـ) بدراسة علاقات الشعوب الاسلامية بنشر الثقافة العربية .

(د) بحفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة واحيائها بالطبع والنشر ، على احدث الطرق العلمية .

(هـ) بالبحث فى العلوم والفنون الحديثة ، وتشجيع الترجمة والتاليف فيها ، وبث الروح العلمى فى البلاد ... »

وآخر الاقطار العربية دخولا فى ميدان احياء التراث امارات الخليج ، واقطار المغرب ، وابرزها اثرا الكويت التى يسرت لها امكاناتها المالية العمل السريع ، الذى توفر له اسباب النجاح . فاصدرت تسع كتب ، وتعمل فى ايامنا هذه على اخراج اكبر معجم لغوى عربى : تاج العروس .

وكما كان لمعهد المخطوطات العربية فضله فى جمع التراث ، كان له فضله فى احيائه . فقد كان مما وكل اليه من اعمال :

١ – وضع مايصوره من مخطوطات تحت تصرف العلماء .

٢ – طبع صور المخطوطات القيمة التى نصها صحيح ، وخطها مقروء ، ونشر نصوص المخطوطات ذات الاهمية الكبرى .

٣ – تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية فى سبيل نشر المخطوطات ، وتزويد الناشرين بالمعلومات اللازمة عن المخطوطات التى يعنون بها ، واعلامهم باسماء من يعنى بمخطوطات مماثلة لمخطوطهم او مشابهة له .

٤ – اصدار نشرة دورية عما طبع او يطبع من المخطوطات العربية ، والاشارة الى ماهو معد منها للطبع .

كل هذه جهود تبين أن الاجيال السابقة علينا لم تهمل تراثنا القديم البتة ، وانها حاولت على الرغم من الطريق الوعر – أن تفى بحقه عليها ، والا تهمل واجبها نحوه ، ونحو الاجداد ، ونحو الابناء . وكل هذا يبين لنا انه ليس بدعة ان تدعو الى الاعتناء بذلك التراث ، بل البدعة الدعوة الى طرحه . ويضع على كواهلنا اعباء مضاعفة . فاذا كان آباؤنا بذلوا الجهد لجمع التراث وصيانته واحيائه فان جهدنا يجب أن يكون كفاء جهدهم ، وان يتعدد تعدده ، وان يتخذ من الاساليب الجديدة ماتتخذه حياتنا نفسها . فنحن ننادى اليوم بالتخطيط فى كل شئون حياتنا ، ولابد من تخطيط فى شئون تراثنا : تخطيط يجعلنا على يقين فى كل خطاتنا ، نحو جمع تراثنا ، والحفاظ عليه ، وفهرسته واحيائه .

دكتور حسين نصار

وقفة في قرطبة البيضاء

للأستاذ عزيز أباظة

قالوا بلثتم · فهذا نور قرطبة   فقلت دل عليها نور سالفها
أجل ودلت نفائات مكتمة   قد غالبتها فضلت في مراشفها
دخلتها والدجى تخفى مفاتنها   الا روائع بيضا من مطارفها
فما اجتنت رسيسا من لواعجها   ولا أكنت عبوسا من معارفها

✻✻✻

ياجارة المسجد الباكي ومئذنة   الله كان يناجي من مشارفها
ماذا دهاها فأمست وهي ناهدة   في غير ما عهدته من معاطفها
هذه النواقيس ان زين هامتها   فقد تحيفن شما من قراعفها

✻✻✻

الدين لله الا أنها غير   ترمي براعدها الدنيا وراجفها
ليس الأذان ولا الناقوس رمز هدى   اذا النفوس تردت في تجانفها
وقفت في طلل الزهراء مختشعا   والنفس تهب لعات من عواصفها
أرنو فيرتد طرفي راعشا وجلا   كهائب اللجة الكبرى وخائفها
وللطلول أحاديث مجمجمة   تردع كاشفها أو غير كاشفها
وادارکت ذكريات جد دانية   وان ترامي بعيدا من مسافوفها

✻✻✻

طوفت بالطلل الأسوان أسأله   أين الخلافة في حضني خلائفها
أين ابن بجدتها شعت حضارته   سنى على سالف الدنيا وآنفها
الناصر الظافر المخشي جانبه   في حيثما دب سابح في تنائفها
الباذل العالم عن أعلام جامعه   تدنى الثمار مزكاة لقاطفها

✻✻✻

تهفو الخلائق من شتى مناكبها   الى المعين المروى من معارفها
لا ظل دوما ولا أفياء قدوتها   بمجزىء الغلل عن ملتف وارفها

✻✻✻

ذكرت يوم الوفود الضخم ساعية   للقصر ترفل في ضافي ملاحفها
تمشي فتمشي قلوب في صدائرها   فرابط الجأش فيها عدل واجفها
وحين أفضت الى أستار سدته   وأوقفت حلقات في مواقفها
أهل في هالة من سروة ملك   من عبد شمس تدلى من غطارفها

✻✻✻

فخيم الصمت الا نبض أفئدة   يشد راعدها من عزم راجفها
وجاهدت كل عين وهي مغضية   أن تستعر على شمس وخاطفها

✻✻✻

وقيل للقوم أدوا من سفارتكم   الى الخليفة وامضوا في شواغفها
فزف كل كبير من عواهلها   وخف كل وقور من أساقفها

ساقوا الهدايا وساقوا بعدها حطبا … أنساهم الروع طرفا من طرائفها
بين الوفود ملوك غير آمنة … فجاورته لواذا من مخاوفها

***

وبينهم أمم ذاقت حضارته … فاقبلت تتملى من لطائفها
وغيرها لم ترد جنات قرطبة … الا لتنهل من صافى معارفها
لم يترك الدهر من راووق أندلس … الا شفافة راح من عوارفها

***

لهفى على حسنها الذاوى وزهرتها … وحاليات الحواشى من رفارفها
وقلت أين حضارات ومعرفة … أظل هذا الورى موشى وارفها
وأين هدى تهدى من صحائفها … وأين نور تجلى من مصاحفها
الدهر يومان والأيام حاملة … حظ الوجود جنينا فى لفائفها
ما دك من عمد الدولات فانصدعت … كالخاف شب لنشاه فى طرائفها
وقد تصاب فتلقى حتفها امم … لا من مخالفها بل من محالفها

***

يا ويحها ذكريات هجن بى حرقا … تنساب فى راسب الذكرى وطائفها
ساورتنى كهتاف الروح قد تشفت … عنها الغشاوة فاهتزت لهاتفها
وزان عنى كما زالت رؤى حلم … ران الغموض عليها من ترادفها
فما طرقن سوى نفسى وعاصفها … ولا تركن سوى عينى وذارفها

عزيز اباظة

يمنى فى شوارع روما

للأستاذ ابراهيم الحضرانى

تتساءل الجدران بى … وأنا بساحتها أطوف
من ذلك الوجه الغريب … وذلك الشبح النحيف
يمشى فتمشى حول هيكله من الماضى طيوف
الذعر فى نظراته … والرعب والقلق المخيف
ياههبط الرومان هذا … ماجنى الزمن العجيف

***

من عهد جير لايزال يروعنا أو عهد خوفو
والجرح جرح المستبد … له باكبدنا نزيف
أمشى بروما حائر الخطوات لى سمع كفيف
يتحسس الكلمات كالأعمى … بمهمهة يطوف
الدار تنكرنى ولكن … بساكنها شغوف
أشدو فينكر جوها … شدوى وتلفظه السقوف

ابراهيم الحضرانى

الإسلام يحارب السلبية

للأستاذ أحمد الشرباصي

« السلبية » كلمة تقابل كلمة « الايجابية » ، وهما من الالفاظ التى هيأ لها الاستعمال اللغوى المعاصر جوا من الشيوع والذيوع ، وفى السلبية معنى السلب والانتهاب مع الانسحاب ، وحمل النفس على الانعزال والفرار ، وفى الايجابية معنى الوجوب والالتزام ، وحمل النفس على اداء ما يجب ان يؤدى ، ففى السلبية اخذ وعجز ، وفى الايجابية اعطاء وقوة .

ويدور مفهوم « السلبية » الآن على عدم الاهتمام بشأن الغير ، وعلى التخلص من التبعات والفرار من المسئوليات ، والقاء الاحمال بعيدا عن النفس والذات على اكتاف هذا وذاك وذلك ، دون ان يفكر صاحب النزعة السلبية فى ان يتجاوب او يشارك او يعاون وهى صفة ان دلت على شيء فانما تدل على ضعف الذات ، وتفاهة الشخصية ، وخور العزيمة ، مع الانانية والاثرة ، وهذه الصفة اذا تمكنت من قوم تركتهم كاعجاز نخل منقعر ، اذ يغدون اشباحا بلا ارواح ، وظلالا بلا عزائم ، وذيولا بلا رفعة او اصالة ، ولن تنهض لمجتمع قائمة فاعلة ان كان ابناؤه على هذا الخلق الذميم .

والاسلام العظيم قد علم ابناءه ان يحققوا ذواتهم ، وان يعبروا عن هممهم ، وان يشاركوا بعزائمهم ، وان ينهضوا بكل ما يمكنهم النهوض به من تبعات وواجبات ، ضاقت بهم تلك التبعات ام اتسعت ، خصت هذه الواجبات ام عمت ، وحينما صور الحديث النبوى اتباع محمد عليه الصلاة والسلام بانهم كالبنيان المرصوص ، وانهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، اراد ان يعلمهم حقيقة الايجابية ، وان يبعد عن حماهم قتام السلبية ، فكل منهم راع ومرعى ، وكل منهم ناصح ومنصوح ، وكل منهم معين ومعان ، وكل منهم يسهم بما يستطيع ليكون الجميع من اهل النجاح والفلاح : « الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

وهذا هو معلم الانسانية واستاذ البشرية محمد صلوات الله وسلامه عليه يعطى اتباعه الدرس الهام فى مقاومة السلبية ، فيقول : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » . ومن اهتم بأمر امته بحث شئونها ، وعرف آلامها وآمالها ، وسعى فى جلب الخير لها ، واسهم فى دفع الشر عنها ، وبهذا يكون ايجابيا لا سلبيا .

ويعود الرسول الى تدريب اتباعه على الايجابية ومقاومة السلبية ، عن طريق تقديم الوجوه الكثيرة من الخير والنفع والمعاونة الى كل محتاج ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه » ، وهذا الهدى النبوى الكريم مستمد من النبع القرآنى الصافى الذى يحرض على الايجابية فى ميادين الخير ، والى مقاومة السلبية المؤذية المخربة ، وذلك حيث يقول القرآن الكريم : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » .

واذا كانت الايجابية العملية تتمثل فى فعل الطيبات والخيرات ، فانها ايضا تتمثل فى مقاومة الشرور والآفات ، ولذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » . وحذر الرسول من ترك الشر يستفحل استفحال الداء العضال ، لئلا يؤدى ذلك الى دمار الجميع ، فقال : « اذا رأى الناس الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده » .

وكما حارب الاسلام السلبية فى مجال العمل حاربها فى مجال القول ، فحث على الجهر بالكلمة الطيبة والقول النافع الذى يشارك به صاحبه فى التوجيه والارشاد ، فقال القرآن : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون » ، وقال النبى وما ابلغ ما قال : « من دل على خير فله مثل اجر فاعله » .

وهناك صنف من الناس لا عقل لهم ولا رشاد ، فهم يتبعون كل ناعق ، ويؤمنون على كلام كل ناطق ، ولا تجد لهم رأيا ، ولا فكرا ، ولا استقلال شخصية

نظرات لابن خلدون

للأستاذ على العمارى

- ١ -

طفت شهرة العلامة عبد الرحمن بن خلدون فى الدراسات الاجتماعية ، والتاريخية على ما اسهم به فى حلبة الادب — بعامة — وفى مجال النقد الادبى — بخاصة —

وقد كان من اثر ذلك ان اغفل اكثر الدارسين لحياة هذا العبقرى الجانب الادبى منها ، او ألموا به إلماما عابرا ، وعلى كثرة ما قرأت عن هذا المفكر العربى الفذ لم يتسع لى أن اقرأ دراسة وافية عن آثاره الأدبية ولا لآرائه فى النقد .

وقد رأيت من حق هذا العالم على الأدب وعلى النقد ان اعرض لآرائه فى النقد بالتحليل والمناقشة لعل فى ذلك ما يضيف جديدا الى ثروتنا فى النقد الأدبى ، ولعل فيه كشفا عن جانب من جوانب هذه الشخصية يبدو لى أنه مازال مجهولا ، او كالمجهول .

ابن خلدون كاتب ممتاز ، وقد قال الشعر فأجاد فى بعض ، وقصر فى بعض ، الى جانب ماكتبه من الرسائل الأدبية ، والسلطانية ، وما خلفه من كتب تطالع فيها أسلوبا رصينا واضحا خاليا من الحشو ، بعيدا — فى اكثر الأحيان — عن مثالب الصنعة ، ورذيلة التكلف .

ويفهم مما دونه فى كتابه (التعريف) انه كان يلجأ الى الشعر احيانا ليؤدى به غرضا قد يكون الشعر اقوى وسائله ، كما حدث له حينما اعتقله السلطان أبو عنان ، فقد قال قصيدة يستعطفه بها ، وانشدها بين يديه فى سنة ٧٥٨ هـ ولكنه بعد ذلك توجهت همته الى أن يكون شاعرا فيحدث عن عن نفسه بانه اخذها بالشعر ، وذلك بعد ان تولى كتابة الانشاء لبعض سلاطين المغرب الأقصى فى سنة ٧٦٠ هـ ومعروف أن ابن خلدون ولد فى سنة ٧٣٢ هـ فيكون اخذ نفسه بقول الشعر وسنه نحو الثلاثين ،

***

بقية الاسلام يحارب السلبية

وهذه المتابعة العمياء لون صارخ من الوان السلبية وضياع الشخصية ، وقد حارب الرسول هذا التتبع اشد المحاربة ، فقال : « لا يكن احدكم امعة ، يقول : ان احسن الناس احسنت ، وان اساءوا اسأت . ولكن وطنوا انفسكم : ان احسن الناس ان تحسنوا ، وان اساءوا ان تجتنبوا اساءتهم » .

وحتى السلبية فى التفكير حاربها الاسلام ، فالقاعدة الاسلامية تقول : « ان من اجتهد فاصاب فله اجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله اجرا واحدا » والاجتهاد هو بذل الطاقة فى سبيل الوصول الى الحق ، وهذا هو معاذ بن جبل يعطينا مثلا للايجابية الصالحة فى التفكير والاجتهاد حينما يبعثه الرسول الى اليمن ، ويسأله كيف يقضى بين الناس ، فيجيبه بأنه سيتبع القرآن والحديث ، فاذا لم يجد الحكم منصوصا عليه فيهما ، فانه سيجتهد برأيه ، فيفرح النبى لذلك ويقول : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يحبه رسول الله .

ولقد كان رسول الله المثل الأعلى فى محاربة السلبية ، فهو لا يدخر وسعا فى معاونة الناس ، وحل مشكلاتهم ، والنهوض بتبعاتهم ، وهو يحمل نفسه ما لاتحمله نفس أخرى فى هذا المجال ، ولقد جاءه رجل يسأله ، فقال له النبى : ما عندى شيء ، ولكن ابتع على (اى اشتر على حسابى) فاذا جاءنا شيء قضيناه ، وكان عمر حاضرا فقال : يا رسول الله ، ما كلفك الله ما لا تقدر عليه ، فكره النبى ذلك وهنا قال احد الأنصار : يا رسول الله ، انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا ، فبدا البشر فى وجه الرسول وقال : بهذا أمرت ! .

وفى ظلال هذه المبادىء الاسلامية العالية تربى شباب كلهم عزم واقدام ، وايجابية ونفور من السلبية حتى نسمع احدهم يقول :

اطرحوا الأمر الينـــا
واحملوا الكل علينـــا
نحن قوم اذا مـــا
صعب الأمر كفينـــا
واذا ماريم منـــا
موطن الذل ابينـــا
واذا ماهدم العـــز
بنـو العــز بنينـــا !

وبهذه الروح الكريمة المعطية تقوى الامم وتسود الشعوب .

احمد الشرباصى

وهذا يدل على أن شعره لم يصدر عن طبع ، فان الغالب على المطبوعين ان يقولوا الشعر فى سن مبكرة، وتعبير الرجل نفسه (أخذت نفسى بالشعر) يدل على انه تكلفه تكلفا .

وثمة نص آخر واضح فى أن ابن خلدون كان متكلفا فى قول الشعر فقد جاء فى احدى قصائده انه كان يعانى فى اصطياد شوارد القوافى، وانها كانت تذل له بعد تمنع واباء ، قال فى قصيدة يخاطب بها بعض ملوك الاندلس :

وهاك منها قواف طيها حكم
مثل الأزاهر فى طى الرياحين
تلوح ان جليت درا ، وان تليت
تثنى عليك بانفاس البساتين
عانيت منها بجهدى كل شاردة
لولا سعودك ما كادت تواتينى
يمانع الفكر عنها ماتقسمه
من كل حزن يطى الصدر مكنون
لكن بسعدك ذلت لى شواردها
فرضت منها بتحبير وتزيين

وكان يقول الشعر احيانا مع رغبته عنه وزهده فيه ، وعزمه على الا يشغل نفسه به ، فانه لما ذهب الى تونس ، ودخل فى رعاية السلطان ابى العباس، وعكف على تأليف كتابه فى التاريخ ، اضطر الى ان يقول بعض القصائد ليدفع عن نفسه تهمة عدم اخلاصه للسلطان ، قال عن نفسه وعن حساده :

« وكان مما يغرون به السلطان على قعودى عن امتداحه ، فانى كنت قد اهملت الشعر وانتحاله جملة ، وتفرغت للعلم فقط ، فكانوا يقولون له : انما ترك ذلك استهانة بسلطانك لكثرة امتداحه للملوك قبلك وتنسمت ذلك عنهم من جهة بعض الصديق من بطانتهم فلما رفعت له الكتاب ويريد كتابه فى التاريخ وتوجته باسمه انشدته ذلك اليوم هذه القصيدة امتدحه واذكر سيره وفتوحاته ، واعتذر عن انتحال الشعر ، واستعطفه بهدية الكتاب اليه » .

فالشعر لم يكن فى طبع ابن خلدون ، وانما كان شيئا يلتجىء اليه عندما يريد أن يمدح او يعتذر ، والشاعر المطبوع لا يهمل الشعر جملة ، فهو لا يستطيع ذلك ولو اراده ، وقصة عمر بن ابى ربيعة واعتزامه ترك الشعر وحلفه أن يعتق عبدا اذا قال بيتا منه ثم حنثه فى يمينه وعتقه تسعة اعبد لقوله تسعة ابيات من الشعر ، هذه القصة معروفة مشهورة ، والامر كما قال هذا الشاعر القرشى :

وذو الشوق القديم وان تعزى
مشوق حين يلقى العاشقينا

وما جاء فى قصيدة ابن خلدون هذه من اعتذاره عن قول الشعر واضح الدلالة فى ان الشعر لم يكن عنده امرا ميسورا :

مولاى غاضت فكرتى وتبلدت
منى الطباع ، فكل شىء مشكل
تسمو الى درك الحقائق همتى
فاصد عن ادراكهن واعزل
واجد ليلى فى امتراء قريحتى
وتعود غورا بينما تسترسل
فابيت يعتلج الكلام بخاطرى
والنظم يشرد والقوافى تجفل

ومع أن ابن خلدون أشار بشعره فى بعض مانقلناه من ابياته ، فجعل قوافيه درا ، وما فيها من حكم مثل الأزاهر فى طى الرياحين ، وادعى أن قصائده حين تتلى تأتى بانفاس البساتين مع هذا نراه يصدق عن نفسه حين يصف شعره فى هدوء الكاتب الرزين فيقول : « فانثالت على منه بحور توسطت بين الاجادة والتقصير » وهذا الحكم اصدق مما يجىء فى الشعر لان هذا موضع الافتخار ، ومجال التباهى .

وقد اعجبت أيما اعجاب بهذا الحكم . اولا لانه حكم سليم صحيح يراه كل من أنعم النظر فى شعر ابن خلدون ، وثانيا لأن هذا الكاتب الكبير لم تأخذه العزة بالاثم فيغالى بشعره ، ويرتفع فوق قدره .

ولكن بعض المترجمين له من المعاصرين يقول ان من شعر ابن خلدون مايسمو الى درجة كبيرة فى الجودة فتجد فيه من حسن الديباجة ، ورقة اللفظ، وسمو المعنى ، وجمال الأسلوب، ومقومات الشعر ما يضعه فى صف الفحول من الشعراء الاسلاميين .

وهذه مغالاة لا أحسب ابن خلدون نفسه يقرها وقد فتشت شعره كله فلم أجد فيه معنى يدل على استاذية ولا تعبيرا انفرد به ، ولا شيئا يرتفع بهذا الشعر عما اثر عن المتوسطين من الشعراء .

وقد ذكر الكاتب نماذج من قصائده الرائعة ، فمنها القصيدة التى انشدها السلطان ابا سالم بن ابى الحسن سلطان المغرب الاقصى ليلة المولد النبوى سنة ٧٦٢هـ ، وهى التى يفتتحها بقوله :

أسرفن في هجري وفي تعـــذيبي
وأطلن مــوقف عبرتي ونحيبي
وأبين يوم البين وقفة ساعة
لوداع مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهـــد الظاعنين وغـــادروا
قلبي رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعي ســافح
فشرقت بعدهم بماء غروبي

ثم ذكر الكاتب نموذجا من قصيدة أخرى وقال انها لاتقل عن القصيدة السابقة في الجودة ، وهـــذه القصيدة انشدها الأمير محمد بن يوسف بن الأحمر بمناسبة المولد النبوي في أثناء الفترة التي قضاها بالاندلس ، وقد جاء فيها :

حي المعاهد كانت قبل تحييني
بواكف الدمع يرويها وتظميني
ان الألى نـــزحت داري ودراهم
تحملوا القلب في آثارهم دوني
وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم
فيهم وأسأل رسما لا يناجيني

هذه نماذج من جيد شعر ابن خلدون وهي كذلك، فهي من أعلى ماجاء في قصائده العشر التي ذكر نماذج منها في كتابه التعريف ، ولكنني لا أعتقد أن ناقدا بصيرا بالشعر يسهل عليه أن يضع هذا الشـــعر بجانب شعر الفحول من الشعراء الاســـلاميين ، فالشعر ـ وان كان جيدا ـ خال من الاريحية، عار عن الروعة الآسرة ، والاستاذية المبدعة .

وعلى الرغم من أن ابن خلدون حفظ أيام دراسته بالمغرب ـ باشارة بعض شيوخه في العربية ـ شعرا كثيرا منه شعر أبي تمام ، وطائفة من شعر المتنبي، ومن أشعار كتاب الأغاني، أقول على الرغم من ذلك، صرح في المقدمة بأنه يجد استصعابا في قول الشعر، وان ملكته الادبية أصابها خدش بسبب ماحفظه من الأشعار العلمية • والقوانين التأليفية • ولذلك فهو اذا رام الشعر يستصعب عليه مع بصره به وحفظه للجيد من الكلام •

وهذه نظرة واعية من ابن خلدون ، فقد تنبـــه الى الربط بين نوع المحفوظ ، ونوع المنشأ من الكلام وان للمحفوظ أثرا في الملكة ، ومن ثم فيما يصدر عن الأديب من شعر أو نثر أدبي ، وقد رتب على هذه النظرية بعض النتائج الخطيرة ، وموعدنا بمناقشتها مقال تال ان شاء الله •

علي محمد حسن العماري

مصرع شاعر بطل

للأستاذ محمد رجب البيومي

تاريخ الادب العربي يموج بشخصيات كثيرة ، تتراكم وتزدحم على مر العصـــور ، وقد حفلت كتب التراجم بأنباء هذه الشخصيات ، ولكن طريقة كتابتها قد ضاءلت كثيرا من بعض الجهود الفذة التي يمكن أن تكون نقطة ارتكاز لتسجيل بطولة نادرة ، أو التنبيه الى عبقرية رائعة •

يظن بعض المؤرخين ان دور مصر في الكفـــاح الصليبي قد ابتدأ حين وفدت جيوش نور الدين الى الكنانة بقيادة أسد الدين شيركوه ، وهـــذا خطأ صريح لان مصر العربية المسلمة قد تجاوزت هذا الموعد الى ما قبله بسنوات وسنوات ، فقد أتيح لها وزير أبي كفء يلتهب حماسة وحمية ، فأزعجه أن تفد الجيوش الصليبية لتحتل مـدن الشرق وتستبد بمقدسات العرب والمسلمين دون أن تكون عاصمة الفاطميين في طليعة المدافعين ، فسير الجيوش برا وبحرا الى فلسطين وســـوريا لمداهمة الغاصبين ، وأحرز انتصارات هائلة ، كان لها دويها الرنان في آذان الاعداء وأريجها العطر في صفحات التاريخ ودواوين الشعراء ، ذلك الوزير الكفء الابي هو الصالح طلائع ابن رزيك ، وقد لقب بأبي الغارات لكثرة حملاته المتعاقبة على الاعداء!

ومهما قيل في فضل الرجل على الادب والشعر فان أكبر فضله في ميزان التاريخ هو ما أشعله من الحماسة المتأججة في النفوس ، فقد أعلن التعبئة العامة في مصر وهيأ الاذهان الى خطر هؤلاء الغزاة العتاة ، ودعا الشعراء الى خوض المعركة فأخذوا يصورون ما يتوقع للاسلام من مآزق لو علت راية الصليبيين في البقـــاع ، وكان اذا رجع من بعض الغزوات الظافرة جلس في حفلات الاستقبال يستمع الى قصائد الحرب وترانيم الشجاعة . حتى أصبح القول في الغزو الصليبي موضوعا جليل الخطر قوي الصلة بنفوس الشعراء ، ولعل المهذب بن الزبير كان أعظم من صور وقائع ابن رزيك من مادحيه ، فقد أكثر وأطال في اجادة وامتاع ، بل ان الوزير نفسه قد أطلق قصائده الحماسية في هذا المجال حين أخذ يرسل الى نور الدين محمود توسلاته

الصادقة ان يقف الى جانبه . ولم يكن نور الدين فى حاجة الى من يتوسل اليه ، وهو البطل المثالى الشجاع ، ولكن اختلاف وجهات النظر بين البطلين فى شأن المعاهدات الحربية ، والهدنة المتكررة ، كان مجال المؤاخذة والمجاذبة ! ولكل بطل منحاه فربما اقتضت حوادث القتال فى الجنوب مالا تقتضيه فى الشمال ، وكم يرى الشاهد ما لايرى الغائب . من مخاطر هذه الروح المتحمسة التى بثها الوزير طلائع ابن زريك قد وجدت صداها لدى شاعر كبير مرموق هو الرشيد احمد ابن الزبير الغسانى ، فأخلص للفكرة الاسلامية اخلاص الأبى الغيور ، وظل بشعره ونثره تارة ، وسيفه وكفه تارات ، يعمل على مناجزة الصليبين فى كل مجال حتى قدم روحه رخيصة فى ذات الله ، وارتفع الى ذروة الشهداء ... ولقد كان من نكد الطالع على البلاد ان يتولى الوزارة بعد موت الصالح وقتل العادل رجل انتهازى ماكر ، لا يفكر فى غير نفسه هو شاور بن مجير ، فلم يجعل من همه ان يستأصل شأفة الفرنجة من الشرق بل جعل تمكنته من الوزارة مأربه الاوحد سالكا اقذر المسالك التى يستعين بها على السيطرة والحكم ، فأغضب الصغير والكبير ، وقد استطاع ان يلبس الحق بالباطل حينا فى انظار السذج من العامة ؛ ولكنه افتضح افتضاحا مخزيا حين جد الجد وصرح الشر عن الطيب والخبيث .

لقد استنجد بنور الدين بادىء ذى بدء متظاهرا بالغيرة والحمية ، والحرص الاكيد على استئصال الفرنجة ، فما كادت جيوش نور الدين تتقدم الى بلبيس حتى استعان عليهم بالفرنجة واجبر عساكره واتباعه على محاربة ذوى دينه ممن جاء بهم لحماية الاسلام فى مصر ! وكانت غضبة الشعب عليه شديدة عنيفة اذ ان المجاهدين من ذوى الانفة قد التجئوا الى اسد الدين ووقفوا معه صفا واحدا امام الوزير الخائن وسادته الدخلاء ! وكان الرشيد الاسوانى احد هؤلاء الذين اشعلوا نار الحمية فى النفوس وهاجموا الطاغية المستبد هجوما زعزع مكانته حتى نجا اسد الدين ورجع الى الشام ، ولكن الى حين . اخذ شاور يبحث عن هؤلاء الذين البوا الشعب عليه ، فوقعت فى يده كتب خطها الرشيد بن الزبير الى اصحابه المتفرقين فى ربوع البلاد يدعوهم الى الثورة على الوزير الخائن ومعاضدة جيش نور الدين فى مأزقه ، فهو جيش العرب والمسلمين ، وان تقوم لمصر قائمة اذا انخذلت هذه الكتائب المكافحة ، وقد تركت ربوعها فى الشام ، وخفت الى مصر لتلقى المعونة والتأييد لا ليحاربها الاوغاد بسلاح الغدر والخيانة ممن لا يشعرون بيقظة الايمان ومحاسبة الضمير ، وكانت العبارات الثائرة التى خطها الرشيد مما يشعل النفوس حفيظة وحقدا فثارت ثائرة شاور على الشاعر ، واخذ يبحث عنه فى كل مكان فلم يهتد اليه ، ثم عثر على شقيقه المهذب فحبسه وسامه سوء العذاب فى سجنه اذ كان ولاؤه للجيش العربى مما لا يخفى على احد ، فاهتبلها الخائن الباطش فرصة مواتية ليشفى نفسه قليلا منه ومن اخيه !! لم يكن الرشيد بالرجل السهل حتى يعثر عليه شاور فى وقت قريب ، بل كان حذرا لبقا فى اختفائه ، ولا غرو ، فالشاعر داهية محنك جاب البلاد وجاوز مصر الى اليمن فى سفارات سياسية كثيرة ، وهو بعد منجم فقيه فلكى طبيب مهندس ، وله فى كل مكان يؤمه تلاميذ يقدرون علمه ويعرفون مكانه فهم احرص الناس على حياته ، هذا غير ما نعلمه من حب الناس لأبطال الحرية ودعاتها وقد اشتهر الرشيد بثورته على شاور ، فحل بذلك محل الاجلال والتقدير ، وكأنى به وقد اصبح فى تنكره موقد ثورة ، يشعل اللهيب فى كل مكان يؤمه ، وهو بذلك يؤدى رسالة قوية اتاحها له شاور من حيث لا يريد ، فلو تركه وشأنه ما كان لاختفائه هذا النفاذ القريب ، وقد رجعت عيون الوزير اليه خائبة فاشلة تعلن يأسها من العثور عليه فيتوعد ويهيج ! على ان المهذب اخا الرشيد قد استطاع ان يتوجه من محبسه بقصائده الى شجاع بن شاور راجيا ان يستعطف قلب ابيه فيمن عليه بالحرية ، وكان فى شجاع همة ومروءة ، فهو على نقيض ابيه ، يسوءه ان يتورط والده فى محالفة الفرنجة فيبذل اقصى الجهود ليوحد الجبهة العربية وكم تعاظمه ان تصبح صورة ابيه شائهة ممسوخة لدى الناس ، حتى انه جاهر بمخالفته فى احرج مأزقه مؤثرا عزة البلاد واندحار الصليبين ، مهما قذفت الحوادث بأبيه الى الهاوية ! هذا النجل الباسل كان يعطف على ضحايا شاور من المتحمسين البسلاء الذين وقفوا فى وجه مكايده اللئيمة !! فحين التجأ اليه المهذب سعى فى خلاصه وبذل جهده الجاهد حتى رد عليه هدوءه وأمنه . فخرج الى فضاء الحرية مع المنتصرين ، كما بذل مسعاه فى

الكف عن الشاعر الطريد ، ولكن حقد شاور على الرشيد قد احبط رجاء شجاع ، فظل هائما تتقاذفه القرى والمدن حتى حتمت عليه الكوارث الفاشية ان ينهي اختفاءه ليظهر في ميدان البطولة من جديد .
لقد كان الرشيد يوقن ان الفرنجة يطمعون في مصر وانهم لن يتخلوا عن زمامها متى اتيح لهم ان يتمكنوا منه ، وقد وجدوا في شاور مركبا يعتلونه الى اغراضهم الآثمة ، فيمضي بهم حيث يبتغون ، ونور الدين بالشام لا يقر قراره ، فهو حريص على ان ينقذ بلاد الاسلام عامة من شرور هؤلاء الغاصبين ، لذلك اسرع بكتائبه الى الميدان من جديد ، وظهر اسد الدين مرة ثانية ليعمل على تطهير البلاد من الصليبيين . فدارت الحرب العنيفة بين شاور والفرنجة من ناحية ، وبين اسد الدين وأبناء البلاد من ناحية ثانية ، حتى تمكن الجيش الاسلامي من الاستيلاء على الجيزة وتقدم الى الصعيد ، فقابله الشعب المصري بالترحيب ، ثم انتقلت بعض كتائبه الى الاسكندرية فكان صلاح الدين بطلها المعلم ، وقد خاف شاور ان يصبح الثغر ركيزة هامة لجيش نور الدين فاتكفأ مع سادته الفرنجة الى محاصرته ، وفوجيء صلاح الدين بالحصار فاجتمع حوله الشعب الاسكندري ، وظهر الرشيد فجاة في الميدان فكان وهو القاضي العالم الشيخ !! يركب الجواد ويمتشق السيف ويحارب بين يديه فاذا اظلم الليل اتجه الى المساجد فجعلها منبرا للدعاية واخذ يجمع القلوب حول صلاح الدين ، ويذكر من آيات الجهاد واحاديث القتال ما يذكي الحمية في القلوب ، حتى استطاعت الاسكندرية بصيحاته الجريئة ان تكون على قلب رجل واحد مع صلاح الدين ! وكان هذا الموقف البارز للشاعر حلقة جديدة تضاف الى سلسلة بطولاته الرائعة ، فقر عينا بجهاده واستشعر برد الراحة حين رأى نفسه في طليعة الصفوف مع المجاهدين ، واخذ يتطلع الى يوم قريب تنجاب فيه عن الاسلام ظلمات الغرب ودواهيه !! دارت الايام واضطر جيش اسد الدين الى مغادرة البلاد مع الفرنجة مراعاة لاتفاق اريد به انقاذ الموقف مما يتعاوره من جواذب الدفاع والهجوم ... وخلا الميدان برهة موقوتة لشاور بن مجير وقد جاءه ما قام به الرشيد من بطولة خارقة في حرب الاسكندرية ، فوجه اهتمامه الى القبض عليه واعلن الجوائز لمن تقوده اليه ، وكان الاقدار شاءت للشاعر ان ينهي كفاحه الباسل ، فسيق الى الوزير الحاقد فامر باشهاره على جمل ووضع على راسه طرطورا ظنه مدعاة السخر والهزاة من الناس ووراءه شرطي يضربه بالعصا وينال من وجهه باللطم ، وقفاه بالصفع ، والشاعر يتمتم بالقرآن ويردد الشهادة في حسرة كظيمة ، قال يا قوت ، فلما وصل به الى المشانقة جعل يقول لمن سيقوم باعدامه عجل عجل فلا رغبة للكريم في الحياة بعد هذه الحال ثم صلب اياما ، ووريت جثته في التراب حيث صلب . وكان من انتقام الاقدار ان يصرع شاور بعد قليل ويدفن حيث دفن الرشيد ! وشتان بين مصرعين يفضي أحدهما بصاحبه الى دار السلام ، ويقذف به الآخر الى هاوية السعير ! تلك بطولة رائعة لها نظائرها — لا محالة — فيما نقرؤه من كتب التراجم الادبية ، وهاأنذا اشير اليها لتنفعنا الآن في معركة القومية العربية آملا ان يتجرد فريق من ادبائنا لكتابة روائع هؤلاء الابطال كتابة فنية توضح مشاهد البطل ومواقفه وتلقي الظلال على ملامحه وسماته ، مشتقة خلجات السرائر ونبضات الدم ليكون من ذلك كله سجل رائع للامجاد العربية ، والبلاذة رائعة للبطولة والابطال ! والا فكيف يجوز لنا ان نهتم مثلا بشاعر معاصر للرشيد كابن قلاقس فنعرض مناحي ادبه ونفصل اغراض شعره وعناصر اسلوبه ثم نغفل الرشيد الاسواني !! مع ان ابن قلاقس قد ضعف عن أن يقوم بجهد ما في معركة الحروب الصليبية ، بل اخذ يمدح شاور بن مجير ، ويذم اسد الدين في قصائد توحي بالوصولية المحترقة ، والانتهازية الخسيسة ! ولئن جاز في مضمار البحث الادبي ان يحلل شعر ابن قلاقس وتتنوع دراساته فمن الواجب ان تفصل حيوات الرشيد والمهذب والعماد واضرابهم ممن اسهموا ادبا وعملا في افادة القومية العربية واذكاء الشعور الديني !!

يمكننا ان نحكم على الرشيد بعد ان اوضحنا موقفه البطولي الرائع بانه كان شاعرا قاضيا عالما كاتبا ! وقد جره تنوع معارفه واختلاف ثماره الى الاقلال من النظم ، حيث تفوق عليه اخوه في شعره ، مما جعل نقاد عصره يقولون ان الرشيد أعلم من المهذب ، والمهذب أشعر منه ! على ان عزة نفسه تظهر بوضوح في اكثر ما نظم ، كان يقول :

اذا ما نبت بالحر دار يودها
ولم يرتحل عنها فليس بذي حزم
وهبه بها صبا الم يدر انه
سيزعجه منها الحمام على رغم !

محمد رجب البيومي

الفيوم : دار المعلمات

في عالم الفن

تاجر البندقية

للاستاذ عبد الفتاح البارودى

ماذا استفدناه من هذا الجدل الذى يدور حول مسرحية شيكسبير « تاجر البندقية » ؟! ان المسرح القومى افتتح بها موسمه ، ومنذ أن عرضتها احدى شعبتيه سمعنا آراء كثيرة جدا تدور حولها ولكن لا تكاد تتناول المسرحية ذاتها ... لا اظن أننا بهذا الشكل نستفيد من عرض المسرحيات العالمية على



فتوح نشاطى

مسرحنا ... المفروض أن عرض أى مسرحية عالمية يعتبر فرصة ضخمة لفهم التراث العالمى ، وبالتالى فان عرض مسرحية تاجر البندقية فرصة لفهم مسرح شيكسبير عن طريق تناول هذه المسرحية بالشرح والتحليل والتفسير الفنى لتقريبها الى أذهاننا ... وطبعا لا بأس من اختلاف وجهات النظر ، بل ان هذا الاختلاف مهم فى هذا المجال ، لأنه يزيدنا معرفة بالمسرحية ، ويعمق مفهوماتنا الفنية ، ويساعدنا فى دراسة التراث العالمى ، ولكن كيف نصل الى ذلك اذا كنا نترك المسرحية ونختلف حول الهوامش أو نتطرق الى مسائل فرعية ؟!

المؤسف أن هذا يحدث كلما عرضنا مسرحية عالمية ... والنتيجة ان مسرحنا قدم عددا كبيرا من المسرحيات العالمية ، ولم نكد نستفيد منها شيئا ، لاننا لم نكد نناقشها مناقشة موضوعية ، ثم تكرر ذلك فى مسرحية تاجر البندقية، بدليل أنها تعرض منذ أسابيع ويقبل عليها المتفرجون اقبالا ملحوظا ، ولكنهم يخرجون من المسرح دون أن يأخذوا عنهـا فكرة وافية .

ان النقاد مسئولون عن ذلك ، والمسرح القومى مسئول أولا ... لماذا ؟! لأنه اعلن فى الموسم الماضى أنه سيقيم ندوات لمناقشة رواياته ... لو أنه فعل ذلك فى رواية تاجر البندقية لأتاح فرصة لتحليلها وتقريبها للناس ... ! أيضا كان المفروض أن يقدم معها نشرة تتناول بالشرح فكرتها وموضوعها ، وتتناول بالتعريف مؤلفها واتجاهاته الفنية فيها ، وأسلوب مخرجها ، وطريقة أدائها ، ولكنه قدم النشرة المعتادة التى لا أدرى لماذا يقدمها وهى غير ذات فائدة .. اذا جاز تقديم مثل هذه النشرة فى رواياتنا المحلية، فلايجوز اطلاقا تقديمها فىرواية لشيكسبير .. بديهى أنه لايمكن دراسة لشيكسبير فىنشرات وانما من المفيد اعداد نشرات فيها على الأقل اشارات الى رءوس المسائل التى تلقى الضوء على النقط الهامة التى يجب بحثها .

وأنا لا أنكر أن الجدل الذى دار حول هذه المسرحية تناول مسائل هامة ، فان بعض المناقشات التى أثيرت صدرت عن علم ودراية ، وانما كان الأفضل – الى جانب ذلك – أن تناقش المسرحية نفسها مناقشة موضوعية ... فنحن أمام مسرحية لشيكسبير ، وبديهى أن الطريق الى الاستفادة بها هو فهمها أولا .

ولكى نفهم أى مسرحية لشكسبير لابد من معرفة معالم مسرحه ، وفلسفة عصره ، والأفكار التى كانت سائدة فيه ، ورؤيته الفنية فى مسرحياته ، والرؤية الفنية فى المسرحية التى تتناولها ، والظروف التى ظهرت فيها ... الخ ... ان المسألة ليست سهلة ... فلو أننا اقتصرنا على قراءة النص قراءة عادية لما فهمنا شيئا ... ان قراءة أو مشاهدة رواية تاجر البندقية بلا تعمق ربما توهمنا أنها « حدوتة » حول « شيلوك » اليهودى الذى صمم على أن ينال حقه رطلا من اللحم الآدمى .. وربما توهمنا أنها حدوتة حول زواج « بورشيا » عن طريق « القرعة » ... وربما توهمنا أنها – بسذاجة – صورة للمحاكمات القضائية فى ذلك العصر .. وربما توهمنا بنفس السذاجة أنها صورة

فكاهية لاختلاف الحظوظ بين ثلاثة صناديق ... طبعا كل هذه نظرات تافهة .

ولكن اذا تعمقنا قليلا سنجد معاني اخرى ... سنجد مثلا أن شيكسبير قدم صورة أروع لنا من الصور التي قدمهـــا اسلافه ومعاصروه لنفس هذه الحـادثة التي عرفت في الأدب الأوربي وتنـــاولها الرواة ثم تناولها المسرحيون ... فقد كان من المألوف أن يتنـاول المسرحيون مثـــل هذه الأحداث ، كل بأسلوبه ... وفتوح نشـاطي الفنان الذي أخرج هذه المسرحية أشار الى ذلك بقوله (ان شيكسبير استقى روايته من نبعين : اولهما اسطورة « رطل اللحم » التي كانت شائعة في انجلترا على الســنة الشـــعراء الجوالين ، والتي أخذت مادتها من قصة « العبيط » للايطالي جيوفاني فيورانتينو ... والنبع الثاني « قصة الصناديق الثلاثة » ، وكانت معروفة للمثقفين من اهل عصر النهضة بين مجموعة قصص (الجســتارو مانوروم) ... أيضا ســنجد ان شيكسبير أعطى صورا بالغة الدقة والعمق لشخصيات مسرحية كشف اغوارها وضمائرها حتى لمســنا دوافعها ومحركاتها ، ورأينا فيهـــا نوازع النفس البشرية وأسرارها ... كذلك ســنجد كيف تعمق شيكسبير في ادراك العلاقات الدقيقة بين شخصياته ، وفي تحريكها تحريكا فنيا على المسرح ، وفي تحليل النماذج البشرية تحليلا يجعل منها نماذج حية في عصرها ، ونمـاذج تعيش بنفس الحيوية في كل عصر ... ان التعمق بهـــذا الشـــكل يقربنـــا من شيكسبير ، ويقربنا من فهم « تاجر البندقية » ، ومع ذلك فمن الضروري أن نزداد دراسة لنزداد معرفة .

فمثلا من الضروري أن ندرس شاعرية شيكسبير التي مكنته من الغوص في المعاني والنفاذ اليها ، وشفافيته التي استطاع بها أن ينقل احساساته الى شخصياته بحيث تنقل نفس الاحســــاسات الى الجمهور .. أيضا من الضرورة أن ندرس مفهـــوماته بالنسبة للحياة والطبيعة ، وبالنسبة لمفهومات عصره عن القدر والحـــظ والغرائز والفضـــيلة والرذيلة والنبل والخسة والعاطفة ... كذلك من الضروري أن نعــــرف مراحله الفنية وتطوراته في التأليف ، وعلاقته بعصره ومجتمعه والتراكيب الاجتماعية التي عاش فيها والجمهور الذي كتب له ...

ومن المهم عندما نتنـــاول رواية تاجر البنـــدقية أن نعــرف أيضا الدراســــات التي تناولتهـــا ... سيفيدنا مثلا اختلاف النقاد العالميين في تصنيفها، فبعضهم يرى مثلا أنها ذات طابع تراجيدي ولو أن نهايتها لا تدل على ذلك .. وكثيرون يرون أنهــــا كوميديا ، وان كانت طبيعة أحداثها استلزمت المعالجة التراجيدية ... وكثيرون جدا يرون أنها من نوع خاص يسمونه الكوميديا الرومانتيكية .

وهذا كله يستلزم معرفة مدى تأثره بافكار مؤلفين آخرين مثل « بيل » و « جرين » و « ليلي » وزملائهم من المؤلفين الذين عاصروه والذين سبقوهم ... ان دراسة هذه النقطة الهامة تلقى أضواء كثيرة على تاجر البندقية ... ان رواية « يهودي مالطة » التي كتبهـــا مارلو تلقى الضوء على تصـــور شخصية اليهـودي ، وعلى معنى « الفردية » في الشخصيات المسرحية ، وعلى جوهر الصراع بين البطل الشجاع النفس وبين الظروف المحيطة به ، وعلى تجسيد الغدر والنذالة في شخصية اليهودي ... ودراسة روايات « جرين » تعطينا فكرة عن ظهور الاتجاه الذي يمكن ان يسمى الاتجاه الرومانتيكي الذي تأثر به شيكسبير كذلك دراسة فن « ليلي » تلقى الضوء على اتجاهات أخرى تأثر بها شيكسبير مثل المعالجة الساخرة ، والمعالجة الكوميدية ، ومزج العالم النموذجي بالعالم الواقعي ، واستخدام حيلة المرأة التي ترتدي ملابس الرجال ، كما حـــدث في رواية تاجر البندقية في شخصية « بورشيا » عندما حضرت المحاكمة بملابس الرجال لتترافع أمام القاضي ... أيضا « ليلي » هو الذي استخدم « الأغاني » في مسرحياته بأسلوب مزج فيه بين الجد والضحك واستعان به على الحركة الكوميدية ... كل هؤلاء تأثر بهم شيكسبير ، ومن اللازم حين نحلل « تاجر البندقية » أن نستفيد من معرفة مدى هذا التأثر في فهم مشاهدها ومواقفها .

كذلك لكي نتعمق في دراسة « تاجر البندقية » لا بد أن نعــــرف أن شيكســـــبير حينما تأثر بهذه الاتجاهات صهرها في ذاته الفنية وأخرجها في فن جديد تأصل في المسرح الشيكسبيري ... ان هذه الاتجاهات كانت مجرد بدايات ، والعبرة الكبرى في شيكســـــبير أنه هو الذي بلورهـــــا في مواضعات فنية ... كل ما في الأمر أننا لكي نفهمه لابد أن نفهم أنه لم يخلق من العدم ولم ينبت نبتا شيطانيا .

أيضا دراسة « تاجر البندقية » تحتاج الى تحليل شخصياتها لنعرف معنى الرومانتيكية في المعالجة ، والى التأمل في مشـــــاهدها لنعرف معنى التخيل الشيكسبيري ... ان المذهب الرومانتيكي لم يظهر

فنيا الا فى القرن التاسع عشر ، أى بعد عصر شيكسبير بثلاثة قرون ، ولكن المعالجة الرومانتيكية عند شيكسبير شىء آخر ... انها تفسر لنا سعة خياله وقدرته على التعبير الموحى ، التعبير الذى يتصل بالخيال ويتصل فى الوقت نفسه بالواقع ... وهذا يبدو بوضوح فى تخيله « للبندقية » مثلا ... ان عالم شيكسبير جمع بين الرؤية الواقعية والرؤية المتخيلة باسلوب فريد ... ثم انه يستخدم عنصر « الهيومر » بتمكن وبراعة ... التى لا أجد مع الأسف ترجمة دقيقة « للهيومر » وانما يكفى أن نلمسها فى رواية تاجر البندقية لنعرف كيف استخدم هذا العنصر فى أدق المواقف واكثرها انفعالا... واذا جاز لنا أن نترجمها بالسخرية فاننا نجد براعته فى اخفائها فى شخصياته ... بل انها فى رواية تاجر البندقية بالذات تبدو أهم العوامل التى تحرك شخصياتها لدرجة أنها هى التى تطورها وهى التى تتطور بها .

ثم عنصر التعليل ... ان لكل الأحداث ، حتى الأحداث الشديدة التخيل ، أسبابها ومسبباتها ، بل ان كثيرين من النقاد العالميين يرون أن «التعليل» فى تاجر البندقية . يلقى على بعض الشخصيات ضوءا باردا ، ومع ذلك فان عبقرية شيكسبير تجعل منها شخصيات ضاحكة ، بمعنى أنها تثير الضحك، ليس فقط على نفسها ، بل على الآخرين أيضا .

والعمق التراجيدى ... ان رواية تاجر البندقية على اختلاف الآراء فيها لايختلف اثنان على أنها تشعرنا بعمق المأساة ، سواء عند الذين يعتبرونها كوميديا أو الذين يعتبرونها تراجيديا أو من النوع التراجيكوميدى أو الكوميديا الرومانتيكية ...

ثم العنصر الموسيقى... ان استخدام هذا العنصر فى « تاجر البندقية » يحتاج الى تأمل طويل .

الواقع أن رواية تاجر البندقية تثير مسائل كثيرة جدا تحتاج الى دراسات عميقة جدا ، ومع ذلك لم نكترث بدراستها ... انها ليست أروع ما كتب شيكسبير ، وبعض خبراء المسرح يعتبرونها أقل قيمة فنية من روائع شيكسبير ، ولكن مهما يكن الرأى فيها فانها جديرة بالدراسة العميقة ... بغير الدراسة قد تجد أنها مجرد حكاية ، وبعض مشاهدها ساذجة ، واختيار الصناديق بالقرعة كلام فارغ ، وعباءة بورشيا كلام فارغ ، وحلولها للمشكلة كلام فارغ ... ان الذين لا يعتمدون على الدراسة معذورون اذا حكموا عليها بذلك ، ولكن ما عذر الدارسين الذين تركوها وأثاروا الجدل حول قضايا فرعية ؟!

صحيح أن ترجمة خليل مطران معقدة ، وقد يكون فيها اخلال ببعض العبارات ، وهى بهذا الشكل تستحق الاعتراض الشديد عليها ، ولكن الرواية نفسها تستحق أن ننتهز فرصة عرضها لتقديم دراسات كثيرة تفيدنا فى فهمها وفى فهم شيكسبير ، وطبعا هذا مكسب كبير .

والا فما الداعى لتقديم روايات شيكسبير وغيره من المؤلفين العالميين ؟! أنا لا أدعو الى تقديم مترجمات كيفما اتفق ، وانما من المهم أن نشعر بالحاجة الى ندوات فنية تناقش فيها الأعمال العالمية بالذات ، والى دراسات عميقة تساعدنا فى فهم المسرح العالمى ، والا فسيكون تقديم هذه الروايات مجرد اجراء مظهرى ، وروتينى .

عبد الفتاح البارودى

تعقيبات

للأستاذ عباس خضر

الشعر القصصي في المهرجان

كانت قصيدة علي احمد باكثير هي القصيدة الثانية في المهرجان – من حيث المستوى – بعد قصيدة محمود حسن اسماعيل .

والعجيب في هذا المهرجان أن يسبق في مضماره بعض الشعراء الحديثين في العمر بعض الاعلام الكبار وان يسبق هؤلاء اديب تعد صفته الشعرية ثانوية بالنسبة لصفته الاولى ككاتب مسرحي ، وهو علي احمد باكثير . والاستاذ باكثير لاياخذ حقه كاملا في حياتنا الادبية والفنية ، لانه «مسكين» .. لاينتمي الى « شلة » ممن «يطنطنون» في الصحف ومن بيدهم الامر في المؤسسات .. فمسرحياته لا تنال ماهي جديرة به من العناية والتقديم على المسارح .

وقل من يذكر انه اول من وضع قالب الشعر الجديد في اللغة العربية بترجمة قصة « روميو وجولييت » ونظمها على وزن هذا الشعر .

قصة انسانية

واعود بعد هذا الاستطراد الوجيز الى القصيدة القصصية التي ألقاها باكثير في مهرجان الشعر بالاسكندرية . عنوان القصيدة « قصة انسانية » تبدأ بتقديم بطلي القصة ، وهما زوجان عجوزان نزحا الى مصر في شبابهما ، ولم ينجبا اولادا ، وعاشا منعمين دون أن يدخرا شيئا كما يدخر امثالهما من اهل بلدهما الذين يقومون بأعمال مختلفة في بلادنا . وهما الآن يواجهان المصير المؤلم اذ لامفر من ان يفترقا ، هو الى ملجأ الرجال ، وهي الى ملجأ النساء ، بعد حقبة طويلة من العمر قضياها معا في حب ..

وقد بنى الشاعر القصيدة بناء مسرحيا على مقتضى فنه الذي مرن عليه وبرع فيه . بدأ بتقديم الشخصيتين في ستة ابيات ، ثم تركهما يتحاوران فينهيان الينا بقية الحادث ، وينقلان الى مشاعرنا ماأراد الشاعر من الخوالج والمعاني الانسانية .

وهذه هي الستة الابيات الاولى :

الرفيقان كيف يفترقان
بعد خمسين حجة وزمان
قضياها معا كاحسن ماعاش على الحب والرضا زوجان
وكأن الصحراء اذ عبراها
واحة من رضاهما الفينان
كيف يأتي يوم يودعها فيه
الى حيث ليس يلتقيان ؟
حيث يقضى كلاهما باقي العمر بمنأى عن الفه وهودان!
هي في ملجأ العجائز ، لكن
هو في ملجأ الشيوخ الفواني .

ويبدأ بعد هذا « بنايوتي » في محادثة « مريكا » في هذا الحوار الدرامي الشعري الرائع :

يامريكا هذا جواب من الملجأ
صاحت : بالرفض ام بالقبول ؟
قال : لا بالقبول . قالت : ترفق
بنايوتي بعقلي المذهول
كيف نختار ان نسير الى الموت ولما يؤذن لنا بالرحيل؟

ويقول لها بنايوتي فيما يقول :

اتريدين ويك ان نسأل الناس ؟
فاين الايدي واين الشفاه ؟

وتقول له :

بنايوتي فداء نفسك نفسي
خل عنك السؤال فالموت ارحم

وتقص ذكرى الكفاح المشترك :

قد ركبنا ظهر السفينة من (بيريه) مثل السردين بل هي أزحم .
ونزلنا نواجه الغيب والغربة حتى استنار ماقد تجهم .
منذ كنا نبني المنى في اثينا
ثم حققناها بظل المقطم

وتاسف مريكا على انهما لم يدخرا مالا ويشتريا ارضا ودورا كغيرهما من بني اليونان ، فيرد بنايوتي:

يامريكا لاتاسفي ، لقد عشنا رغيدا وماالونا سرورا
قد ملكنا من اهل مصر قلوبا
ان يكن غيرنا اقام قصورا
اوماتبصرين جيراننا يبكون من اجلنا بكاء مريرا
كم ارادوا عونا لنا لو قبلنا
انه كان سعيهم مشكورا

وهكذا يحيط بالصورة من ابعادها المختلفة ، فلايترك موقفا دون أن يستوفيه بمثل هذا الايجاز البليغ ، ويتم تصوير انعكاس الصورة على شعبنا الطيب الكريم ، فيقول الزوج لزوجته : ان مالك البيت قال له ابقيا في مسكنكما ولاتدفعن لي اجرة، فلما اراد أن يشكره :

قال : صه ، قد غدوتما لصغاري
والدا حانيا واما رحيمة

وتقول مريكا :

ينابوتي صدقت ، هذا الوداد الحلو اغلى من القصور العظيمة .

ان فيه العزاء اى عزاء عن منى اخدجت واخرى عقيمة .

ولما يطلب منها ان تستعد للمضي الى الملجا تقول وهي حزينة :

ينابوتي قل بالحرى : الى السجن ، الى المنزل الكئيب الحزين .

حيث نحيا بلا غد ، قد دفنا غدنا الحي في رماد السنين .

ويتحاوران فيما لو كان لهما اولاد .. هو يحمد الله على انه لم يثقلهما ببنات او بنين . وهي ترى انهما كانا يعيشان في ظلهم آمنين . وتبقى بهم ذكراهما خالدة ، فيقول :

يامريكا الخلود في الارض وهم
كل من فوقها من الهالكينا
ان اردنا الخلود فلنلتمسه
في الحياة الاخرى مع الصالحينا
وكفى بالايمان بالله فضلا
ان جوف الفناء لا يطوينا

وقوف على الاطلال بطريقة عصرية

القصيدة القصصية الثانية في المهرجان هي « شارع في الاسكندرية » لعبده بدوي . **وعبده شاعر وشاب يقول الشعر على وزن البحور العربية بمضمون مما يهدف اليه الشعر الجديد ، وتعبير مجنح : تؤدي جمله اكثر من غرض ، وتوحي كلماته بمشاعر دقيقة تنساب من النفس الى النفس .**
لاتكاد تجد في شيء من ذلك تقليدا لقديم او حديث، الا قليلا او نادرا من مثل قوله عن الشارع في مطلع هذه القصيدة :

لازلت اذكر فجره والمئذنة
والنور يزرع في النوافذ سوسنه
وبدا تمد فتستجيب الى السنا
ستر منمنمة النسيج ملحنة

ففي هذا استعارات تشبه استعارات محمود حسن اسماعيل ، وخاصة استعمال الستر (جمع ستار) كالاصوات في التلحين .

نرى الشاعر في هذه القصيدة يقف على الاطلال: آثار الحبيبة .. بطريقة عصرية ..

القصيدة تحكي لنا حكاية فتى جاء من القرية الى الاسكندرية ، واقام بشارع في حي وطني كالانفوشي يقع على البحر ، فيه اشياء منها حبيبة احبها الفتى :

والصائد المعروق يبسم وجهه
وشباكه من كفه متمكنة
والساهرين الليل بين جفونهم
عرق الحياة ووشوشات المدخنة

لم «يكذب» علينا الشاعر «كذبا فنيا» — ان صح هذا الوصف — فيقول انه لقي الصبية الحلوة على شاطئ ميامي او سيدي بشر .. وتواثب معها بين الامواج والرمال .. لا ، انه فتى ريفي صادق .. يحدثنا بمجيئه الى الشارع قائلا :

قد جئته من قرية مسكينة
تغفو على ايامها المخشوشنة
الليل في اعماقها لما غفا
هزته اجنحة الفراش اللينة

ونمر بالايام المخشوشنة واجنحة الفراش اللينة مر الكرام .. بعد ان نلحظ ما بين الخشونة واللين في صورة واحدة من عدم التوافق .. لنصل الى هذين البيتين :

والفجر تزعجه الفئوس ، فيرتمي
من خوفه للافق قبل الاونة
والسنبل الذهبي ينمو ضاحكا
في حقلنا .. لكننا ان نطحنه

وذلك لكي نتأمل هذه الصور الشعرية التي تشير الى اكثر من قصة في كفاح الفلاح ، كقصة الفاس التي تزعج الفجر فيمضي سريعا ، وقصة القمح الذي لم يكن يأكله الزارع ، لان المالك الاقطاعي سيلقفه .. هذا مما اقصده بالتعبير المجنح .

وصور الشاعر فتاة القروي في الشارع الاسكندري هكذا :

حملت قريتي الحزينة في دمي
ومشيت نحو بيوتك المتزينة
فوجدت فيه غربة ، ووجدتني
طيرا غريبا ليس يلقى موطنه

وذكر ايامه بالقرية والحقول و ...

واستعبرت عيناي .. لكن لاح لي
وجه كانغام الربيع الموهنة

فاذا الحيـــاة قصيدة فجرية
والنــاس أبيــات وقلبى دندنة

وانقضى عهد الشارع والحب .. وراحت ايام ، وجاءت أيام ، وعاد صاحبنا الى «الاطلال» كما يقول :

واليوم عـــدت اليك قلبـا يابسـا
وجنـــاح عصفور ينادى «سكنه
فمـاذا راى ؟ راى حبيبتـه اما ..
شـاهدتها والنور يسطع فوقهـا
تهوى الى الطفل الصغير لتحضـنه
ورايتهــا والقلب يخفق ضـارعا
والحب من سنة يطير الى سنه
لم تبتسم فى وجهى الفــرحان ، لم
تعـرف هـواها فى الجفون المذعنـة

هذه القصيدة مثال للتجربة الشعورية العميقة التى تشد اليها الشاعر فتحصره فيهـا لكى يحفر ويعمق ..

وقد سمعنا عن الاسكندرية عدة قصائد ، راينا فيها الشاعر يجرى من شاطىء الى شاطىء ، ومن غرض الى غرض ، ومن الصيف الى الشتـاء .. ونحن لانحصل منه على شىء .

وموعدنا الاسبوع القادم مع قصيدة «السائقات الفاتنات» لعلى الجندى وبقية الشعر القصصى فى المهرجان .

السجل الثقافى

لحظت فى الاعلان الذى نشرته مؤسسة التاليف والترجمة ، عن السجل الثقافى ، ماياتى :

اولا ــ انه .. يحصر كل مايتصل بالثقافة فى مصر من كتب مؤلفة ومترجمة ومحققة ورســائل جامعية وندوات ومحاضرات وافلام واسطوانات واغانى .

ولما تصفحت السجلين المعلن عنهما (سجل سنة ١٩٥٩ وسجل سنة ١٩٦٠) **لم اجد بهما شيئا عن ندوات ومحاضرات واسطوانات واغــان ..** (فى الاعلان اغانى باثبات الياء وهو خطا) .

وقد كدت احمل الزيادة فى الاعلان على انهـا استكثار وتفاخر .. او تحسين بضاعة .. كمـا تكتب بعض المصانع على منتجاتها الغذائية : «مضاف اليه فيتامينات ا و ب و جـ» ولكن يظهر انها عدم دقة فى «الحصر» **اذ وجدت فى سجل سنة ١٩٦٠ اشياء غير موجودة فى الاعـلان ، مثـل الموسيقى والمؤتمرات والمعاهد الثقافية .**

وكنت اود من المؤســة ، وهى تقوم بحصر كل ما يتصل بالثقافة فى مصر من ... ومن ... الى آخر ماهو بعيد عنها ، أن تكون دقيقة فى حصر ماق السجل وهو فى يدها ..

ان مؤسسة التاليف تعمل فى بطء شـديد على مقتضى « الكيف » واقل ماكان ينتظر من خطــة «الكيف» الدقة والاتقــان ، ولكن يظهر ان «الكم» ادعى الى التحسن والتقدم من « الكيف » .

ثانيا ــ قالت المؤسسة فى الاعـلان : « سـوف يسجل (اى السجل) الماضى منذ مستهل القرن المتمم للعشرين » وهذا مشروع ضخم تعلن عنه ــ على سبيل التكاثر هذه المرة ــ وهى لاتزال متخلفة بالنسبة للحاضر . **فنحن الآن على ابواب سنة ١٩٦٤ وآخر ماأصدرته عن سنة ١٩٦٠** واعتقد ان الحاضر اولى بجهد المؤسسة ، وهو جهد متوان يلهث اعياء من متابعة الحاضر ..

الحاضر العظيم الذى اتسعت فيه رقعة الثقافة بجميع الوانها ، وصار يتطلب متابعة اكثر واسرع مما تبذل المؤسسة .

ذلك الحاضر العظيم لم يعرف (بتشديد الراء وفتحها) بعد (لا فى الداخل ولا فى الخارج) واولى بالسجل الثقافى ان يقوم بهذه المهمة سنة فسنة بحيث لايتاخر عن السنة السابقة .

ونحن نعلم أن كثيرا من الاسئلة ترد من خـارج البلاد عن معلومات ثقافية ، كالمؤلفين ومؤلفـاتهم ، كى تضم الى نشرات عالمية ، ولايجاب عليها .. لان أجهزة الحصر والرصد الثقافى عندنا تكاد تكون غير موجـودة ، فتكون النتيجة ان تصــدر النشرات الثقافية العالمية خالية من ثقافة الجمهورية العربية المتحدة ، هذه البلاد التى استرعت انظار العالم فى جميع الميـادين ، واصبح العـالم يتطلع الى معرفة ثقافتها .

ذلك كله أجدر بالاهتمام من «الماضى منذ مستهل القرن المتمم للعشرين » والذى تعلن المؤسسة انها ستحصره دون أن تعمل فى سبيله اى شىء ..

ولماذا تعلن عن شىء لم يتم ؟ اليس الغرض من الاعلان ــ اى اعلان ــ تنبيه الجمهور الى عمل تم واصبح فى السوق كى يسعى للحصول عليـه ؟ **اما الاعلان عن شىء لم يتم ولم تتخذ فى سبيله اية اجراءات فليس له معنى غير مجرد التفاخر والتكاثر بلا شىء .. وما كنا نحب للمؤسسة ان يلهيها التكاثر عن متابعة الحاضر ....**

عباس خضر

خواطر الأسبوع

للأستاذ محمد عبد الله السمان

(٢)

مهرجان المنصورة الادبي .. ايضا

لقد لاحظت فى المهرجان الادبى بالمنصورة اشياء كنا نود الا تكون ، وليس منها فقط كما سبق ان ذكرت ان المهرجان لم يكن له منهج محدد . وكذلك الكلمات التى القيت لم يكن فيها تنسيق واضح ، فهناك اشياء واشياء ، كان بعضها دخيلا على المهرجان ، وبعضها الآخر تطاول عليه .

اما الدخيل مثلا فعرض الازياء الذى كان عقب كل ليلة ، حتى اسعار الازياء كانت فوق متناول متوسطى الدخل ، وكذلك الغناء الذى كان ختام كل ليلة ، حيث غنى الدوكالى وشفيق جلال ، فجلبا الى (السينما) مقر المهرجان جمهور الترسو الذى كان عاملا بغوغائه فى افساد ليلة باكملها لم نستطيع ان نستمع الى متحدث ، وقد تالم جمهور المثقفين لموقف الدكتور زكى نجيب محمود، وعبد الملك عودة ، فقد القى الاول كلمته على مضض ، واكتفى الآخر بالقاء مقدمة حديثه وغادر المنصة آسفا ، وكان انحرمنا حديثين دراسيين علىجانب من العمق ، فى الحرية والتفرقة العنصرية .

واما المتطاول على المهرجان فموقف المخرجين : حسن الامام وعاطف سالم حيث تحدثا عن نفسيهما دون مبرر ، وموقف الاستاذ احمد حرك المحرر بالجمهورية حيث صال وجال فذكرنا بخطب المرشحين للانتخابات فى معمعة المعركة ، ثم موقف الشاعر محمد الجيار ، الذى رضى لنفسه ان يلقى فى كل ليلة قصيدة بالاضافة الى قصيدة الاستاذ كامل الشناوى بالنيابة عنه ، فاختلس وقتين كان احق بهما ادباء المحافظة المقيمون بها .

كنا ننتظر ان تعقد ندوة آخر المهرجان لتقييم المهرجان نفسه ، وهذا مالم يحدث ، وحين اعلن الاستاذ طاهر ابو زيد انه سيسجل حلقة من حلقات راى الشعب للتليفزيون ، انتظرنا ان تكون الحلقة تقييما للمهرجان ، ولكن الأسف ، كانت الحلقة سطحية الى ابعد حدود السطحية ، والاسئلة كانت مسفة للغاية ، ولم يستطع الجمهور استغلال اشتراك الأدباء المعروفين ومنهم الاساتذة : محمد التابعى ومحمد عودة واحمد عباس صالح والجيار وعقيل مظهر سكرتير المحافظة ، والدكتور عز الدين اسماعيل .

واخيرا ، انتظرنا ان تسد الصحافة القاهرية هذا الفراغ وقد حضر المهرجان الكثير منهم ، ولكنالذى حدث فقط ، ان نشر الاستاذ صالح جودت فى المصور صفحتين ليس فيهما الا سطور سريعة عن المهرجان ، وامتلأ فراغهما ببعض صور من مناظر المحافظة .

وكتب الاستاذ احمد عباس صالح فى جريدة الجمهورية كلمة عابرة ، وراى فيها : **ان يكون عمل المهرجان دراسة عملية لنشر الفنون فى المنصورة ، وللاستفادة من العناصر الموهوبة فى الاسهام فى الحركة الثورية التى تعيشها البلاد ، كما راى ان الموضوعات التى طرقها الشعراء لم تكن جديدة ، بل ان الوجوه التى ظهرت على مسرح المنصورة هى الوجوه التى ظهرت من قبل على مسرح الاسكندرية فى المؤتمر الخامس للشعر ..**

اما الاستاذ فاروق منيب فقد كتب مقالا جيدا فى جريدة المساء ، وراى انه يجب ان تحدد الموضوعات وتعد اولا ، وانتقد عرض الازياء، وقلة المتحدثين من ادباء المنصورة المحليين ، حيث كان اغلب المتحدثين من ادباء القاهرة .

ولم يرض الكاتب الاديب وهو ياخذ على المهرجان عدم تحديد الكلمات ، ان القيت كلمة فى التفرقة العنصرية واخرى فى الفلسفة الاسلامية ، وهو يقصد بالطبع كلمة الدكتور عبد الملك عودة عن (التفرقة العنصرية) رغم ان الدكتور ذكر انكلمته كلف بها من المسئولين عن المهرجان ، واى غضاضة فى ان تثار قضية انسانية فى مهرجان ادبى وأن تعبىء شعور المثقفين لها !

ويقصد بالكلمة الاخيرة كلمتى التى القيتها عن : (الاسلام وحرية الرأى) وقد طلب منى تحديد كلمتى قبل سفرى فاخترت هذا العنوان ، وبالطبع لم تزحم المهرجان الادبى الذى عرضت فيه الازياء، وغنى المطربون .

لقد اقترحت عقب كلمتى ان يطلق على المهرجان (مهرجان الفكر) ليشمل الادب والدين والفن والعلم ، فمن حق شعب المحافظة كله أن يستمتع

بالمهرجان ، ومن حق الطاقات الموهوبة فيه ان تبرز شخصياتها .

ومن حقنا ان نهمس فى آذان الشاعرات اللائى شرفن المهرجان ، فقصائدهن ـ بحق ـ دون المستوى اللائق بمهرجان ادبى اذا استثنينا قصيدتى الشاعرتين : جليلة رضا ، وروحية القليني ، ثم قصيدة الشاعرة الفلسطينية سميرة ابو غزال .

وليت شاعراتنا جميعهن آثرن السلامة فانبن عنهن من يلقى قصائدهن ، فشعرهن لا يصلح الا همسا ، القاؤهن لا يجدى الا حول الموائد المستديرة ، اما اخطاؤهن اللغوية فى الالقاء ، فقد اختلست بعض الرقة والعذوبة التى تخللت احيانا قصائدهن .

وبعد ـ فهذا عرض سريع لما قيل فى المهرجان ، ليس المقصود من هذا العرض تقييم مادته ، وانما لنتبين عما اذا كان ماقيل وما حدث فى المهرجان دليلا على نجاح المهرجان ام لا .

وقد عرضت للشعر ولعله لم يؤد الرسالة على أكمل وجه ، كان بعضه مكررا وبعضه ضعيفا ، وكلاهما لم يتصل اتصالا وثيقا بمشاكل الناس وقضاياهم وليس من الانصاف الا اقول :

ان هناك شاعرين من شعراء الشباب ، كان لقصيدتيهما اثر فى نفسى ، وان لم يعطهما جمهور المشاهدين حقها من التقدير :

اولهما الشاعر محمد احمد العزب ، وهو من احدى قرى المنصورة وعلى صلة وثيقة بمشاكل اهله ، القى قصيدة عنوانها : «مات يوما» جاء فيها :

فى قريتى حيث يغفو أبى وامى ترابا
وحيث ينهل حبى على ثراها سحابا
فرشت اهداب عينى على الدروب قبابا
اجنحتها ملء شوقى .. دجى .. وطينا .. وغابا
وذكريات تلوت على يدى اسرابا
والف امسى غريبا يدق بابا .. فبابا
ليحصد الليل شكوى .. ورعشة .. وعذابا
ورحت أسال قوما عنه .. اناشد قوما
فتمتموا : مات يوما .. فقلت : ماعاش يوما

والشاعر الآخر هو انس داود ، القى قصيدة عن (طفل فى طريق الحب) كان هذا الطفل هو ماسح الاحذية وقد جاء فيها :

وطوف حول متكئى صبى ضارع النجوى
بعينيه مآسيه وتاريخ من الشكوى
وفوق جبينه رسمت ملامحها يد البلوى
ينقر فوق صندوق صغير يبعث الشجوا
ويلهث خلف اقدام الالى مروا بلا جدوى
تردد حين ابصرنى : ابرجع خائب النجوى ؟
واوما لى : اتسمح ان المعه كما تهوى ؟
فاسلمت الحذاء له ليشبع لونه زهوا .. !

وبعد مرة اخرى : فاذا كان المهرجان قد جاء سريعا لم تسبقه دراسة ، ولم توضع له خطة أو منهاج ، ولم تحدد له اهداف ، واشترك فى هذا التقصير المشرفون على المهرجان الادبى فى المحافظة ، وادباء المحافظة الدقهليون المقيمون بالقاهرة ، فلست ادرى كيف تجاهل هؤلاء جميعا ادباء الدقهلية وشعراءها ومفكريها الراحلين ؟

واذا لم يقدر لهؤلاء الذين خلدوا تاريخ الدقهلية بامجادهم ان يذكروا فى مثل هذا المهرجان الادبى فمتى يذكرون ..

ان الكلمة التى سترت الموقف هى كلمة استاذنا الزيات التى القيتها نيابة عنه فى المهرجان ، وهى تحية الى الشاعر الراحل على محمود طه ابن المنصورة ولكن الادباء العمالقة المقيمين بالقاهرة الم يجدوا من المراجع ما يجعلهم يتحدثون عن امثال : على مبارك ، واحمد لطفى السيد ، والدكتور محمد حسين هيكل ، واسماعيل مظهر ، والشاعر اسماعيل صبرى ، والشاعر احمد الزين ، والشاعر ابراهيم ناجى ؛

اعتقد انه اذا استسغنا ان ننسى هؤلاء جميعا ، وهم جزء من تاريخ الامة العربية باسرها ، فكيف استسغنا ان نعق ذكراهم فى مهرجان ادبى يقام فى عاصمة اقليمهم الذى انشأهم ، ويستمر اياما ثلاثة بلياليها .. ؟

ان التكريم الذى اغدق علينا خلال ايام المهرجان الثلاثة ، ولقاء السيد المحافظ الطيب لنا ، وأدب وذوق السيد سكرتير المحافظة اللذين اضفاهما علينا ، كل اولئك لا يحول دون ان نقول كلمة حق ، فى مهرجان ادبى كبد المحافظة ما كبدها من نفقات ، وكبد الشعب هناك ماكبد من سهر ، وكبدنا نحن ما كبدنا من مشقة السفر ، وانا واثق بعد ذلك ـ ان المسئولين لن يضيرهم النقد البرىء لعمل ادبى كبير ارادوه ان يكون تجربة اولى .

محمد عبد الله السمان

الكتب - عرض وتعريف

يقدمه : تحسين عبد الحى

جناح الأحداث

تاليف : جين شزال
ترجمة : عبد السلام القفاش

يحتوى الكتاب على دراسة قيمة لأسباب ونتائج جنوح الاحداث - والدعوة الى اهميـة وضرورة النظر اليهم على أنهم بشر - دفعتهم ظروف حياتهم الاسرية والنفسية - وتكويناتهم الشخصية - الى وضع اصبحوا يحسون فيه انهم ملفوظون من المجتمع.

.. والكتاب ينطوى على قيمة عظيمة لما يشيع فى ثناياه من ايمان جارف بقدسية الشخص الانسانى - ودعوة مخلصة الى تحرير نظرتنا اليه من كل ما يشوبها من متواترات العرف البالى والتفكير المتحيز المتعنت الذى يدور فى افق ضيق ، ويجرد الواقع الانسانى من ثرائه وتنوعه وتعقده بصبه فى قوالب جامدة فقدت نضارة فحواها .

ويوضح المؤلف فى مجال عرضه لاسباب جنوح الحدث - أن سوء التغذية يؤدى عادة الى زيادة عدد الجرائم الاقتصادية من قبيل السرقات والتبديد والصفقات غير المشروعة بكافة انواعها - كما يضر بنمو الحدث - الفسيولوجى - فيبعث فيه استجابات تتسم بعدم الاستقرار وتدفعه الى التخلف عن المدرسـة ، والهروب من الاسرة والتشرد فى عصابات من اترابه - **ويرى المؤلف أن السينما تاثيرها المباشر والفعال فى مجال جنوح الاحداث ، فالصورة السينمائية تفرض نفسها على الحدث فرضا - وهى فى حد ذاتها مثير قوى تزيد قوته خطورة ظروف العرض بالذات - من اظلام الصالة - وعزلة المشاهد - ونصوع الشاشة والايقاع المصاحب للعرض - والحدث الذى يلازم الشاشة اطول مما ينبغى يسبح فى عالم سينمائى وتتراءى له الصورة الفيلمية اقوى تعبير ينبض حياة عن الواقع - والفنان السينمائى « حاو » ومشعوذ - فبفنه يختفى الطابع الزائف - الاختلاقى - الشاذ - او الا ستثنائى لموقف ما - والافلام المرضية السامة - التى تغلب فيها مشاهد العنف والتعذيب والاختطاف والاحتجاز والتى يتعهد فيها ابطال فوق البشر مغامرات لا نهاية لها وينتحرون على اشد العقبات - تلك الافلام الهدامة التى يلفها جو من الاثارة الجنسية العاتية،** ومن البهيمية حيث تتخلى المرأة عن كرامتها - فتغدو مجرد موضوع مغامرة - وبرؤية الحدث المتجددة دوما لهذه الافلام - يندمج فى طريق الجريمة والزيغ ، ويغدو الخيال هو الواقع بالنسبة اليه وتتشبع به افعاله واتجاهاته بقدر يتزايد باضطراد - ويتفاقم شر الحوافز المعادية للمجتمع التى استطاع من قبل أن يكنها فى اعماقه او يعثتها فيه بيئته .. وتعظم خطورة هذا التاثير عن طريق التشرب ، بموجب أن الحدث يميل الى أن يتقمص شخصيات الشاشة الذين لفظهم المجتمع من حظيرته . ويرى المؤلف **أن ثمة عوامل اخرى** عديدة - تشوئية - **تؤدى دورا فى تسبيب الجناح - وتسفر عن حيل نفسية اخرى - ذلك بان الحدث، نتيجة لنقص الاشراف العائلى - وهو نقص يرجع فى الاغلب والاعم الى ظروف معيبة فى السكن والى التفكك العائلى - والسلوك الناشز للوالدين - اللذين يعتقدان** انه يجب أن يكون ابنهما - بمنزلة الرفيق منهما - ويعجزان عن التوفيق بين الحنان والحزم - ومن هنا تزدهر مركزية الانا فى ابعد صورها عن الاحتمال - فالحدث يعتبر نفسه مركز العالم - ولا يرى الا ان له حقوقا - ويستغل ضعف ابويه ويلجأ الى اساليب ابتزاز حقيقية - ويعمل على الحصول من احدهما على ما يحاول الآخر منعه عنه

ويقول المؤلف ..

« كيف يتفق انه من بين الاحداث والمراهقين الذين توجههم بيئتهم او فرديتهم العميقة الى سلوك عدوانى ، يغدو بعضهم – دون الآخرين – جانحين؟

ويجيب الكتاب بأن تلك هى مشكلة « الانتقال الى الفعل » – فلا نزاع فى أن العوامل التشويئية الخارجية والداخلية التى انصب عليها انتباهنا تنال من مراس وظائف الضبط – فهى تتداعى تحت دفع الاندفاعات العنيفة المباغتة – او تحت ضغط طاقة عصبية مكبوتة . وفى حالات اخرى – تكون وظائف الضبط العليا – الشعور بالمواقف . والامكانيات الارادية – هى نفسها معيبة ، ناقصة ، بليدة خاملة او مكفوفة . وفى طائفة ثالثة من الحالات ، يرجع انعدام الضبط الى اشراف سيىء – او نقص فى صوغ القيم الاخلاقية على المستوى المزدوج .. مستوى الشعور والوجدانية – نستطيع اذا ان نرى انتقالا الى الفعل او عزوفا عنه لتفاوت العوامل التى ذكرنا انماط تأثيرها الاساسية عمقا وائتلافا . كما ان حالة الشخص البيولوجية النفسية فى نفس اللحظة التى يرتسم فيها مشروع الفعل الآثم تنطوى على اهمية عظمى – فكم من جرائم تقترف لان فاعليها الشبان كانوا فى فترة من الاعياء – او تبدد القوى ، او نقص العزم أو اختلال التوازن المميز للبارغ .

ولا يسعنا أن ندرس مشكلة الانتقال الى الفعل دون أن نشير الى العواقب المترتبة على نزوع بعض الاحداث الى الاستعراض النفسى والتهاب خيالهم – وقابليتهم للاستهواء ونزعتهم الطفلية المشوبة بمسحة اسطورية – ويغلب عليها طابع اللعب – فهم يقطعون صلاتهم بدوافع – ويحيون شخوصا وعوالم خيالية ينقلونها من بعد بسهولة الى الواقع. وينساقون الى الهرب والجرائم التى كانت من قبل تملأ رواياتهم الخرافية من اختلاف مخيلتهم .

وافرد المؤلف فصلا خاصا بقضاة الاحداث على اساس انهم هم الذين يقررون مستقبل الجانحين منهم فيرى انه ينبغى أن نجعل الحدث الذى اقترف اثما يفهم اننا ننشد تأهيله لاحتلال منزلته الصحيحة فى المجتمع ، وعلينا مع ذلك الا نجرد مفهومى الاثم والجزاء عن كل مضمون فلا يكفى ان يعرف قاضى الاحداث كيف يتغلب بموقفه على هذه الصعاب والتناقضات . بل لا غنى له عن أن يعرف كيف يخلق جوا معينا حول الجانح الصغير . جوا من الثقة يؤدى بالحدث الى أن يجيب على الثقة بثقة مثلها وباحترام الالتزامات المعتنقة . جوا من الصدق يلزم القاضى بعدم اللجوء الى الحيلة لمعرفة الحق ، وبأن يؤثر دائما ان تنتصر الصراحة المخلصة. – وكذلك جوا من الامن – فالقاضى يمثل عند الحدث مجتمعا يملك حق فرض قيود على حب الاذى وعلى ضروب الانانية وعلى نزوات الافراد ولكنه يمثل فى نفس الوقت صورة الاب الذى لا تمنع صرامته محبته .

واذا كان يجب على قاضى الاحداث أن يخلع معنى تربويا على وظيفته ، فان عليه أيضا أن يباشر وظائفه بروح اجتماعية ولا بد له من ان يقبل الحوار مع انسانية مثخنة بالجراح فى الاغلب . ولابد له من أن يعرف كيف يمنح صداقته للانسان وان يكون وعيه الاجتماعى متقدا بما يكفى لتوجيهه الى الشعور بصلته الوثيقة عديمة الانفصام بالبشر الآخرين – فى شركة روحية تستلهم مفهوم التعايش اكثر من استلهام مفهوم التباين .. وبعد ان عرض المؤلف لاصلاح الاحداث الجانحين – ونتائج هذا الاصلاح – واحتمالات المستقبل لمحاكم الاحداث ..

إختتم بحثه بقوله :

ان الحكم القضائى على الحدث لا قيمة له مالم يعبر عن فعل من التضامن والصداقة .

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

بين وزير وشاعر

انتهت مدة خدمة الشاعر محمود غنيم المفتش العام للغة العربية ، فتعب في الاتصال به طالبوه الذين كانوا يتصلون به عن طريق مكتبه ، فبعث الى السيد وزير المواصلات بالابيات التالية :

كن لى نصيرا يا خليل
يا صاحب الحسب النبيل
قد صرت بعد تقاعدى
من بعض أبناء السبيل
لا يهتدى أحد الى
ولو سعى لى ألف ميل
بيتى بدون مسرة
مثل الفلاة بلا دليل

ولما أمر السيد الوزير بتركيب تليفون بمنزله بمصر الجديدة شكره بالابيات التالية :

أنا ان شكرت لمصطفى
فبشكره يقضى الوفا
أسدى الى يدا أرق
من النسيم والطفا
قد كنت سرا خافيا
فالآن قد برح الخفا
والآن أصبح منزلى
علما كمروة والصفا

محمود غنيم

لا تظلموا لغتكم

لشد ما تكون دهشتي حين التقى بشاب فأتحدث معه ثم أسمع منه أثناء حديثه حشدا ضخما من الكلمات الاجنبية يدخلها ـ عمدا ـ فى ثنايا لغته القومية ظنا منه أن هذا مما يضفى على لغته جمالا وروعة !! وليست أمثلة هذا الشاب بقليلة فى عصرنا هذا • ومما لا شك فيه أن تعلم اللغات الاجنبية ضرورة ينبغي على كل مثقف أن يكون محيطا بها ليتسنى له الاطلاع على الثقافة الغربية بمختلف أنواعها حتى تتفاعل مع ثقافته العربية فيكون بذلك ثقافة عصرية ممتازة • وضرورة أيضا من حيث انها تمكنه من الاطلاع على ادعاءات الغرب واتهاماته الموجهة الينا والى تراثنا فيتسنى له دحض هذه الافتراءات ان استطاع •

اما أن نتعلم اللغات الاجنبية لنتخذ منها سلاحا نهاجم به لغتنا القومية العربية فى عقر دارها فذلك ما تأباه الروح العربية ويأباه واقع عصرنا العربى الحاضر الذى نسعى فيه جاهدين لبعث كل الوسائل التى نحيى بها قوميتنا العربية الاصيلة ، ولا شك ان اللغة العربية تسهم فى ذلك بنصيب لا ينكر •

واننا حين نصنع هذا الصنيع حيال لغتنا انما نساعد المستعمر فى حربه الطاحنة على هذه اللغة التى طالما أراد أن يخمد أنفاسها فأعياه ذلك !

وليت شعري : أهذا ازدراء منا للغتنا القومية أم جهل بها ؟؟!!

عبد الرحمن أحمد محمد سالم
كلية دار العلوم

عيد الشعر فى الاسكندرية

لقد كان مهرجان الشعر الخامس فرصة سانحة ، اتاحت لى ان أشهد بعينى رأسى ملوك الكلمة الجميلة، وهم يتعاقبون على المنصة ، ينشدون أشعارهم ، فتتلقفها الاسماع ، وتهتز لها القلوب ، فتنطلق من الاكف تصفيقات كالرعود ، يرن صداها مع همس الاعجاب فى سماء القاعة •

أيام ستة ، هى عمر المهرجان ، لبست فيها الاسكندرية ثوب الزينة والنشاط والتحمس وقد كان اليوم الاول يوما مشهودا ، رأيت فيه أستاذنا عباس محمود العقاد لاول مرة ، وما أن وصل الى باب قاعة المؤتمر ، بقامته الفارعة ، وشخصه الجليل المهيب ، حتى كان تصفيق الحاضرين قاصفا متواصلا، وأخذت الناس نشوة من جلال القدر ، ورحابة العقل، وعبقرية التاليف ، فاستمروا فى تصفيقهم ، فوقف يحييهم بكلتا يديه مرات فى تجاوب حنون حتى سكتوا •

كان فى حسبانى وتقديرى أن أرى أديبنا الزيات يلقى كلمة فى عيد الشعر ، ليكتمل عقد المؤتمر بحضوره ، وتنتشى الارواح بسلافة حديثه ، فتموج القاعة بالايدى المصفقة والاعناق المشرئبة ولئن كنا حرمنا كلمته المبتغاة فى هذا المهرجان ، فاننا نطمع أن نحظى بها فى المؤتمر القادم ان شاء الله •

الاسكندرية : بديعة محمد سبح الله

تصويب

حدث خطأ منا فى أثناء نقل القصيدة « اصابع يد واحدة » التى نشرت بالعدد ٢١ من مجلة « الرسالة » ، فى البيت الاول ، فنشر على النحو التالى :

صعودا .. فان ذرى الميعاد .. تقترب
صعودا .. ولا تخش شيئا .. انا عرب

وصحة البيت كما هو موجود بالديوان :

اصعد . فان ذرى المعاد .. تقترب
اصعد .. ولا تخش شيئا .. انا عرب

لم تتوالى الابيات جميعا متآلفة على هذا الوزن .

محمد الجبار

آن الاوان

آن الاوان : لكى يتعمق الرجل والمرأة مفهوم رسالتهما فى هذه الحياة العاملة المتحركة ويعيدا سناء الحق والفضيلة والشرف والمروءة ، ولآداب الدين قدسيتها ولقيم الاخلاق صدارتها ، ولتعاليم الاسلام وضعها ومكانها .

آن الاوان : أن يبذل الرجل والمرأة ماف وسعهما وطاقتهما لتطهير المجتمع العربى والاسلامى مما علق به من صدأ وما لا يتفق مع قيمنا ومبادئنا وأخلاقنا وتطور مجتمعنا .

آن الاوان : لكى يقوم الرجل والمرأة بأداء رسالتهما كاملة كل بما هيأته له الطبيعة البشرية من وظائف وأعمال . اذ أنهما فى هذه الحياة «كمصنع اشتراكى» وزعت أعماله عليهما معا .

والرجل والمرأة يكونان الوضع العام للحياة فى مقتضياتها وأعمالهاوتبعاتها ومسئولياتهاومستلزماتها وهما فى هذا الوضع قوتان تعملان وتكتسبان وتوجهان وتحافظان وتساعدان .

آن الاوان : لكى تنطلق الآداب الاسلامية منجديد على أكتاف الرجل والمرأة . وترسل اشعتها وانوارها فى أصقاع العالم واركان الدنيا .

آن الاوان : لكى تنطلق الثورة الدينية الرابعة . تلكم الجذورة المتقدة التى لا يخبو ضوءها . ولايختفى لهيبها ولا تضعف حرارتها ... هذه الثورة التى ينتظرها الناس فى كل مكان وسوف تكون الحدث التاريخى العظيم الذى يسجله التاريخ بفخر واعتزاز

آن الاوان : لتجمع الشمل وتوحد الاهداف ولم الشتيت . وتكون أخوة فى الرخاء والشدة وتطهر مجتمعنا من الاقزاموالمتمردين والمتدروشين والمتزمتين والمنافقين والكسالى .

وما أجدرنا جميعا فى مجتمعنا العربى ان تكون شعلة قوية غير هيابين ولا وجلين « افحسبتم انما خلقناكم عبثا » ، كلا لم يخلقنا الله عبثا .. انما خلقنا الله لرسالة انسانية رفيعة .. !

احمد عبد الرحيم السايح
كلية أصول الدين

***

دعوا البراعم تتفتح

تسابقت الاقلام فى تعريف الادب الاشتراكى .. وما هو الذى نحتاج اليه ؟ . وما هو الادب الذى لا نحتاج اليه ؟ .

ولست أدرى الحافز الى هذه الآراء . فما هو المقصود بالادب الذى نحتاج اليه ؟ . هذا السؤال اوجهه الى كل من دخل حلبة السباق من اساتذتنا الكبار . وأقول لهم :

اخرجوا الى الىالحياة فى قوة وثقة ..وعبرواعن مشاكل مجتمعكم بصفة خاصة ، ومشاكل الانسانية بصفة عامة .. ثبتوا المبادىء والمثل العليا .. نادوا بالسلام ، واعملوا من أجله .. عبروا عن هذا المجتمع الصاخب الذى يبنى نفسه بنفسه ، وعن هذه الامة الناهضة التى ترتفع فى قوة واصرار ، وتنفض عنها كل الاتربة التى علقت فى جسمها ومنعتها فى الماضى من التقدم .

لا انكر أن للأدب رسالة سامية فى مجتمعنا الجديد الذى نبنيه .. فرسالة الأدب – فى رأيى – هى التعبير عن الحياة .. على الادباء أن يعبروا عن تلك المعانى الانسانية التى حملها الادب – ولم يزل – عبر الدهور . وأما هذه الضجة التى قامت حول مفهوم الادب فى المجتمع الجديد .. فهى جعجعة بلا طحن ، وهى غير قادرة – للاسف – على اقامة أدب بمفاهيم وآراء .

يا أدباءنا : دعوا الزهور تتفتح ، واتركوا للأديب حرية التعبير .. وافسحوا الطريق للاقلام الشابة ، لان الشباب وديعة المستقبل .. وسوف يحمل على عاتقه عبء بناء أمته الناهضة .

دعوا البراعم الجديدة تتنفس فى الهواء الطلق وتبسط آراءها من غير حرج . دعوا الادباء يكتبون فى حرية .. دعوهم يعبرون عن مجتمعنا الجديد .. عن آلامه وآماله . وبعد هذا ، انظروا الى هذاالادب وقوموه ووجهوه ، فلسوف تجدون – حينذاك – أدبا قد تحددت معالمه وتأصلت جذوره .. فاذا بالادب

الجديد مرتبطة بمجتمعه ، عادت الى بنائه بناء سلميا .

ويا أساتذتنا الكبار : اهتموا بالبراعم الجديدة . واتركوا تلك الآراء المتضاربة التى نالت – بلا شك – من جهدكم .. وأصابتنا – نحن الشباب – بالحيرة والقلق والضياع . فان للادباء رسالة أسمى من الرسالة التى يفرضها هؤلاء الذين يتداولون الرأى ثم يرجحون ما يرون فيه الصواب .

دعوا البراعم الجديدة تتنفس فى الهواء الطلق .. واعطوهم حرية التعبير ، حتى نستطيع أن ندخل بادبنا العربى مرحلة جديدة ، ونشارك فى ركب الحضارة . وحتى يستطيع ادبنا ان يعبر عن التجارب الانسانية العميقة التى يزخر بها عالمنا .

الجيزة – حسنى سيد لبيب

***

مزيدا من التفسير لحيرة الشباب

اعجابى الشديد بأستاذنا الدكتور محمد احمد خلف الله ، فقد لمس وترا حساسا ووضع يده على قضية من أخطر القضايا التى يمر بها جيلنا المعاصر الا وهى « حيرة الشباب » .

والحقيقة أنها مشكلة تحتاج الى حل جذري سريع وحاسم ، منعا لكثير من الاخطار التى تهدد شباب هذا الجيل وتجعله فريسة للانحرافات ونهبا للضياع .

ان كثيرا من شباب هذا الجيل يعانى حقا من عدم ادراكه لهذه الصلة التى يمكن أن تقوم بين حضارتنا الجديدة وتراثنا القديم بعد ان شعروا بأن هناك اختلافا فى الاسس الفكرية التى تقوم عليها هذه الحضارات فى العصور المختلفة .

والواقع اننا – كشباب – نريد المزيد من الايضاح ونريد المزيد من التفسير ونريد الكثير من الكلام من هذه الناحية التى طرقها أستاذنا والتى علل لها اسبابا ثلاثة .. هى فى الواقع ليست كل شىء .. وهى فى الواقع أيضا تحتاج الى المزيد من التفسير أرجو أن يفرد له مقالات أخرى ..

اننا نحترم أستاذنا ونقدر حديثه ونضع آراءه موضع الاعتبار ولكنه – ككاتب – لهذا الشباب تنتظر منه المزيد ... حتى نستطيع أن نعرف حقا علة تلك الحيرة وسبب ذلك القلق الذى نعانيه وتطابق بين ما يكتب وما نحس به فلعل وعسى أن ينير الطريق ولعل وعسى أن نعرف الى أين نسير .

محمد يونس عبد العال
المنيا

حول الادب الاشتراكى

فى البريد الادبى «العدد ٢١ من الرسالة العائدة» عقب الاستاذ مصطفى السيد الجبرينى على قول لاستاذ عبد الرحمن الخميسى (... ولكننا أشد ماتكون حاجة الى الادب الذى يكشف لنا عن العيوب المتخلفة فى بعض النفوس من الماضى البغيض ، ويصور مدى فساد تلك العيوب وعرقلتها لنهضتنا الحديثة ..) .

وتعجب الأستاذ الجبرينى أن يصدر هذا من مثل الاستاذ الخميسى ، قائلا : ان الماضى البغيض وماكان يحمل قد اصبح فى خبر كان بعد الثورة ، وان حياتنا بعد الثورة ، فيها للادب من المواضيع الكثيرة ... بناء السد العالى ، الوادى الجديد ، الاتحاد الاشتراكى .. الخ .

وبديهى أنه لا يفرض على الاديب موضوع بعينه .. دون موضوع ، فميدان الادب الحياة بأسرها ، وليس هناك موضوعات أدبية وموضوعات غير ادبية ، والصدق الفنى وهو الذى تتطلبه من الاديب «يتنافى مع فرض الموضوع عليه ، ذلك انه قد يفرض عليه موضوع كموضوع الوادى الجديد مثلا ، ثم يتناوله دون أن ينفعل به ، ودون أن يعيشه فى أعماقه ، فيولد هزيلا ، فاقد الروح والاثر !

وما زال الاديب الكبير نجيب محفوظ يصور فى أحدث رواياته – الطريق – انعدام القيم فى مجتمع ما قبل الثورة ، فيثيرنا ، ويجعلنا نشعر حتمية الثورة وأسبابها ، فتنعطف مع روحها ومبادئها ، تلك اليد القوية التى أطاحت بهذا الفساد وهذا الضياع .. من جذوره .. الضاربة فى الارض ، فنعيشها حريصين عليها .. !

وما ينبغى لنا أن ننسى المشاكل والقضايا العربية الكبرى ، التى يعيشها الانسان العربى فى الوقت الحاضر ، وصلتها الوثيقة بماضينا قبل الثورة .. ! وثورتنا – بعد كل ما حققت – لم تحقق اهدافها الكبرى بعد ! ، وكيف ننسى ذلك وما زالت أجزاء عزيزة وغالية من عالمنا العربى ، يسودها الاجنبى ، ويحبو انسانها ، ويحاول ان يعى دوره فى الحياة ، وتعوقه العراقيل من داخل نفسه وخارجها ... نفس العراقيل التى حطمت حياتنا سنين وسنين !

ان الاستاذ الخميسى مصيب فى ذلك التقدير .. فنحن أشد ما نكون حاجة الى الادب الذى يكشف لنا عن العيوب المتخلفة فى بعض النفوس من الماضى البغيض ، ويصور مدى فساد تلك العيوب ، وعرقلتها لنهضتنا الحديثة .

محمد محمود شمس



الدار القومية للطباعة والنشر